

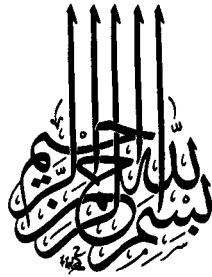
النَّصْرَانِيَّةُ الْمَلِكِيَّةُ

دِرَاسَةٌ نَقْدِيَّةٌ مُوثَّقَةٌ لِلْعَقَائِدِ وَالْأَفْكَارِ
الَّتِي أَشْتَمَلَتْ عَلَيْهَا النَّصْرَانِيَّةُ

تَأَلَّفَتْ
الْمُسْتَسَارُ مُحَمَّدُ عَزَّتِ الطَّرْطَاوِي

الدَّارُ السَّامِيَّةُ
بِירוَت

دار الفلم
رَبِّي



الْبَصِيَّةُ الْمُبِينَةُ

مقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد البشير النذير هادي الإنسانية ورسول العالمية وعلى آله وصحبه، ومن دعا إلى هديه، وحمل مشعل دعوته إلى يوم الدين، وبعد: فإن الصراط المستقيم هو طريق الله الذي نصبه لعباده على ألسن رسله، وجعله موصلاً لعباده إليه، وسبيلاً إلى رضوانه وجنته، ولا طريق لهم إليه سواه، بل الطرق كلها مسدودة إلا هذا الطريق المستقيم، وهو أفراد بالعبودية، فلا يُشرك به أحد في عبوديته والإقرار لرسوله محمد ﷺ بالطاعة والمتابعة، وهذا كله مضمون شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

وهذا هو الهدى ودين الحق، وهو معرفة الحق والعمل به، ولا دين له سواه.. قال تعالى:

﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا، وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾^(١).

فذلك هو الصراط المستقيم من الله والسبيل المطروق الذي مرَّ عليه الأنبياء والمرسلون، ذلك هو الإسلام.

(١) سورة آل عمران: الآية ٨٤.

وهو الدين عند الله، ومن يتبع غيره ديناً فلن يقبل منه، وهو في الآخرة من الخاسرين.

قال تعالى:

﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(١).

وهذا هو العهد الذي حفظه المسيح عيسى عليه السلام، وتوفي عليه وسيُجيب به ربه يوم القيامة.

قال تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ؟ قَالَ: سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ، إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ، تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي، وَلَا أَغْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ، إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ. مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ. فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ. إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ وَإِنْ تُغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٢).

واستجلاء هذا الطريق المستقيم وتبيانه، وكشف طرق الضلال التي يسلك فيها غير المسلمين خصوصاً من نعتهم القرآن بالضلال كان من أوجب الواجبات على علماء المسلمين.

قال تعالى:

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيراً وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾^(٣).

ففي هذه الآية خطاب من الله سبحانه وتعالى إلى النصارى عموماً في مشارق الأرض ومغاربها ألا يتبعوا قول أسلافهم الذين هم لهم تبع، وقد وصفهم بثلاث صفات:

(١) سورة آل عمران: الآية ٨٥.

(٢) سورة المائدة: الآيات ١١٦، ١١٧، ١١٨.

(٣) سورة المائدة: الآية ٧٧.

إحداها: أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلِهِمْ.

والثانية: أَنَّهُمْ أَضَلُّوا أَتْبَاعَهُمْ.

والثالثة: أَنَّهُمْ ضَلُّوا عَنْ سِوَاءِ السَّبِيلِ.

والسر في هذه الآية أَنَّهُ اقْتَضَتْ تَكَرُّرَ الضَّلَالِ فِي النَّصَارَى ضَلَالاً بَعْدَ ضَلَالٍ، لِفِرْطِ جَهْلِهِمْ بِالْحَقِّ فَعَبَدُوا مَنْ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُعْبَدَ.

فَأَسْلَفَ النَّصَارَى اجْتَمَعَتْ لَهُمُ الْأَنْوَاعُ الثَّلَاثَةُ فِي الضَّلَالِ.

فَضَلُّوا فِي الْغَايَةِ:

إِذْ ضَلُّوا عَنْ مَقْصُودِهِمْ حَيْثُ لَمْ يَصِيبُوهُ، وَزَعَمُوا أَنَّ إِلَهُهُمْ بَشَرٌ يَأْكُلُ، وَيَشْرَبُ، وَيَبْكِي، وَيَنَامُ، وَأَنَّهُ قُتِلَ، وَصُلِبَ، وَصُفِّعَ.. فَهَذَا ضَلَالٌ فِي نَفْسِ الْمَقْصُودِ حَيْثُ لَمْ يَظْفَرُوا بِهِ.

وَضَلُّوا فِي الْوَسِيلَةِ:

إِذْ ضَلُّوا عَنْ السَّبِيلِ الْمَوْصِلَةِ إِلَيْهِ فَلَا اهْتَدَوْا إِلَى الْمَطْلُوبِ وَلَا إِلَى الطَّرِيقِ الْمَوْصِلِ إِلَيْهِ.

وَضَلُّوا فِي دَعْوَةِ غَيْرِهِمْ إِلَى مَعْتَقَدَاتِهِمْ:

وَبِذَلِكَ ضَلَّ أَتْبَاعُهُمْ عَنِ الْحَقِّ وَعَنْ طَرِيقِهِ الْوَاضِحِ الْمُسْتَقِيمِ.

لِذَلِكَ كَانَ كُفْرُ النَّصَارَى نَاشِئاً مِنْ جَهْلِهِمْ بِالْحَقِّ، وَضَلَالِهِمْ فِيهِ، فَإِذَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ وَمَعَ ذَلِكَ آثَرُوا الْبَاطِلَ الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ، أَشْبَهُوا الْأُمَّةَ الْمَغْضُوبَ عَلَيْهَا، وَهِيَ أُمَّةُ الْيَهُودِ إِذْ كَانُوا يَعْرِفُونَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ لَكِنْ يَرَادَتُهُمُ الْفَاسِدَةُ مِنَ الْكِبَرِ وَالْحَسَدِ وَإِثَارِ السَّحْتِ وَالْبَغْيِ، كَفَرُوا بِدَعْوَةِ الْإِسْلَامِ وَلَمْ يَقْبَلُوهَا.. فَإِذَا أَشْبَهُهُمْ النَّصَارَى فِي ذَلِكَ صَارُوا مَغْضُوباً عَلَيْهِمْ فَوْقَ بَقَائِهِمْ ضَالِّينَ.. وَهَذَا الْكِتَابُ دَعْوَةٌ إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَتَبْيَانٌ إِلَى السَّبِيلِ الْقَوِيمِ، وَتَحْلِيلٌ لِمَفَاهِيمِ النَّصْرَانِيَّةِ الْمَغْلُوقَةِ الْكَثِيفَةِ الَّتِي رَانَتْ عَلَى الْحَقِيقَةِ وَعَلَى الْعُقُولِ السَّلِيمَةِ، وَرَدٌّ لَتِلْكَ الْمَفَاهِيمِ إِلَى أَصْلِهَا الْوَاضِحِ السَّلِيمِ.. فَاللَّهُ أَسْأَلُ أَنْ يَنْفَعَهُ مِنْ يَقْرَؤُهُ مِنَ الْعَالَمِينَ، وَأَنْ يَهْدِيَهُ إِلَى طَرِيقِ الْإِسْلَامِ مِنْ غَفْلٍ عَنْهُ مِنْ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ.. قَالَ تَعَالَى:

﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ، وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ... بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾^(١).

المؤلف
محمد عزت الطهطاوي

(١) سورة الكهف: الآية ٢٩.

آيات من القرآن الكريم

* قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(١).

* وقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(٢).

* وقال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾^(٣).

* وقال جلّت كلماته: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ. وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ، إِذْ دُفِعَ بِالْأَيْمَنِ هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾^(٤).

* وقال جلّ من قائل: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾^(٥).

* وقال سبحانه: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾^(٦).

• • •

(١) سورة الزمر: الآية ٩.

(٢) سورة فاطر: الآية ٢٨.

(٣) سورة طه: الآية ١١٤.

(٤) سورة فصلت: الآيتان ٣٣، ٣٤.

(٥) سورة العنكبوت: الآية ٤٣.

(٦) سورة العلق: الآيات ١، ٢، ٣، ٤، ٥.

حِكْم هَامَّة من الكتاب المقدَّس يجب مراعاتها والعمل بها

- * (فتشوا الكتب لأنكم تظنون أن لكم فيها حياة أبدية)^(١).
- * (طوبى للذي يقرأ.. وللذين يسمعون أقوال النبوة ويحفظون ما هو مكتوب فيها لأن الوقت قريب)^(٢).
- * (فتشوا في سفر الرب واقرؤوا)^(٣).
- * (أملك تفهم ما أنت تقرأ)^(٤).

* * *

- * وها نحن نفتش في الأسفار المختلفة بالكتاب المقدس في عهديه القديم والجديد.. أي التوراة وما ألحق بها من أسفار.. والأنجيل وما ألحق بها من رسائل، ونقرأ ونسمع بغية المعرفة والفهم والوصول إلى الحق والاهتداء إلى الطريق المستقيم.

• • •

(١) إنجيل يوحنا إصحاح ٥ عدد ٣٩.

(٢) رؤيا يوحنا ص ١ عدد ٣.

(٣) سفر أشعيا ص ٣٤ عدد ٣٦.

(٤) سفر أعمال الرسل ص ٨ عدد ٣٠.

الباب الأول رجعة إلى التاريخ

في:

- (١) عقيدة التوحيد في الكتب العبرانية .
- (٢) تفسير الكنيسة النصرانية للفظ الله (آلآب) مما أدى إلى نشوء فكرة التثليث .
- (٣) آراء الأب عبد الأحد داوود الآشوري . . وما يؤيدها في قاموس الكتاب المقدس للدكتور جورج بوست الأميركي .
- (٤) كيف دخل التثليث في عقيدة النصرانية عند انعقاد مجمع نيقية سنة ٣٢٥ ميلادية .
- (٥) ما تقوله دائرة معارف لاروس الفرنسية في موضوع التوحيد والتثليث .
- (٦) ما يقوله الأستاذ عوض سمعان الباحث القبطي المصري في أبحاثه .

(١)

١ - من الحقائق المُسلَّم بها عند أهل الرأي والنظر من معتنقي الأديان السماوية، أن الأنبياء الذين بلغوا العهد القديم - أي التوراة والزبور وكل الكتب العبرانية من الله للناس - لم يكن لهم علم ولا خبر عن التثليث ألبتة . . أي أن موسى عليه السلام الذي أنزلت عليه التوراة من الله، ومن جاء بعده من الأنبياء الكرام المأمورين بتأييد شريعته، كانوا مكلفين بالدعوة إلى التوحيد، ولم يعرفوا التثليث إطلاقاً . . .

٢ - والمسيح عليه السلام من واقع ما هو وارد عنه في إنجيل متى ص ٦ عدد ٩ - ١٣ يقول:

(فصلُّوا أنتم هكذا: أبانا الذي في السموات ليتقدس اسمك، ليأت ملكوتك، لتكن مشيئتكم كما في السماء كذلك على الأرض . . خبزنا كفافنا أعطنا اليوم، واغفر لنا ذنوبنا، كما نغفر نحن أيضاً للمذنبين إلينا، ولا تدخلنا في تجربة لكن نجنا من الشرير، لأن لك الملك والقوة إلى الأبد آمين).

فالتفحص لكلام السيد المسيح عليه السلام سالف الذكر يتبين أنه يؤيد التفسير الوارد عن الوجدانية في التوراة، وهو الوارد في سفر التثنية إصحاح ٦ عدد ٤ ونصه:

(إسمع يا إسرائيل: الرب إلهنا رب واحد).

٣ - بل إن أوضح مدلول للحياة الأبدية في الأناجيل، هو ما ورد بإنجيل يوحنا إصحاح ١٧ عدد ٣ من قول المسيح ونصه:

(وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك، ويسوع المسيح الذي أرسلته)^(١).

(١) الكتاب المقدس، العهد الجديد.

٤ — فالمسيح يقرر الوجدانية لله سبحانه وتعالى.. وأن ما له فقط هو الرسالة لا أكثر ولا أقل.

٥ — ولما كانت شريعة الله إلى الناس واحدة ورسالاته إلى الأنبياء خالدة، تمتد جذورها إلى الإنسان الأول وهو آدم أبو البشر، وتنتهي فروعها بانتهاء هذا الجنس البشري، وقيام الناس لرب العالمين، لذلك كان الدين الذي شرعه الله للإنسانية ديناً واحداً في جوهره وأصوله، لم يتغير بتغير الأنبياء، ولم يتبدل باختلاف الأزمنة والعصور، بل كان أساسه توحيد الله والإخلاص في عبادته، وتوزيع العدالة بين الناس، وهكذا كان الأنبياء جميعاً منذ أبيهم آدم عليه السلام إلى خاتمهم (النبي محمد ﷺ).

٦ — وإلى هذا المعنى الخاص باتحاد الديانات السماوية جميعاً في جوهرها وأصولها، يشير القرآن الكريم في مثل قوله تعالى:

﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ، كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ، اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾^(١).

وقوله تعالى:

﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا، وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ، وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ، وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا، رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حِجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾^(٢).

(٢)

٧ — وقد وصف الله في كتب التوراة تكراراً بلفظ (الله الآب) ومثاله ما ورد في سفر أشعيا إصحاح ٦٤ عدد ٨:

(١) سورة الشورى: الآية ١٣.

(٢) سورة النساء: الآيات ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥.

(والآن يا رب أنت أبونا نحن الطين وأنت عاملنا وكلنا عمل يديك) ولفظ (الآب) يعني (الله) باللغة السريانية، وهي اللغة الآرامية التي كان يتكلم بها المسيح عليه السلام.

٨ - والمعنى اللغوي الدقيق للفظ آب هو إعطاء الشيء ويعني لفظ آب بهذا المعنى أنه مؤجد الموجودات كافة ومكون كل الكائنات، أي فاطرها، أي خالقها وصانعها من غير مثال سابق، قال تعالى في القرآن الكريم: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾^(١).

٩ - وهذا المعنى ورد في إنجيل يوحنا إصحاح ٨ عدد ٤١ في قول اليهود للمسيح:

(لنا أب واحد وهو الله)^(٢) أي هو الذي أوجدنا وخلقنا وصنعنا.

١٠ - كما ورد هذا المعنى فيما ذكر بإنجيل لوقا إصحاح ١٢ عدد ٣٠ من قول المسيح:

(وأما أنتم فأبوكم يعلم أنكم تحتاجون إلى هذه)^(٣).

١١ - والمسيح كان يطلق على (الله) لفظ (الآب)، وهو الله باللغة الآرامية أي السريانية كما قدّمنا ولم يطلق عليه أبداً لفظ الوالد.

١٢ - لكن الكنيسة في مفهومها عن المسيح عليه السلام عموماً فسرت لفظ (الآب) على اعتبار أن الله ابناً وحيداً، أي أن الكنيسة أطلقت لفظ (والد) محل لفظ (آب) والآب هو الله باللغة الآرامية أو السريانية كما قدّمنا، وهو مكون كل الكائنات وهناك فرق كبير بين التكوين والتوليد.

فالتكوين فعل قديم وعمل أول، وهو خلق الخلق وصنعه.

(١) سورة يوسف: الآية ١٠١.

(٢) الكتاب المقدس، العهد الجديد.

(٣) الكتاب المقدس، العهد الجديد.

أما التوليد فهو عبارة عن اشتراك عمل فاعلين اثنين .

وبناء على ما سبق إيراده . . فالله سبحانه وتعالى لم يوجد من العدم، وهو يُكوّن وَيَخْلُق، أما الموجودات الكائنة فتتوالد فيما بينها، أي تثمر وتنتج .

١٣ — ومن العجب أن الذي دس في فكر الكنيسة فكرة الأبوة والبُنوة بين الله والمسيح بالمعنى المفهوم عندها — أي بمعنى التواليد — هو الراهب المصري الأعزب (أوريغنوس) وكان خصياً خدّم الرهبان بعد أن تأثر بالأفكار السيئة للفلسفة اليونانية، فقد ذكر ذلك الراهب خطأً عن المسيح الآتي :

- (أ) أنه باعتبار أن مريم أمه فهو من عين جنس الإنسان أو مساوٍ لجنس الإنسان .
 (ب) وباعتبار أن الله أبوه بمفهوم أنه والده فهو من عين جنس الله أو مساوٍ لجنس الله^(١) .

وهذا التفسير الذي ذكره الراهب المصري أوريغنوس لا يتفق حتى مع أصول الفلسفة للأسباب الآتية :

- (أ) إن الفرد من نوع البشر لا يمكن أن يكون متجانساً مع الوجود المطلق وهو الله .
 (ب) وبناء على ذلك فإن الخالق يخالف المخلوق في الذات والصفات .
 (ج) وتطبيقاً على ما سبق فإن اعتبار المسيح مساوياً لله تعالى مستحيل . . والقول بغير ذلك اعتداء على العقل، بل واعتداء على الفلسفة أيضاً، لأنها مبنية على قضايا العقل .

١٤ — إذا كان ذلك كذلك كان الطريق السليم هو الرجوع إلى التعريف الذي ذكره المسيح عليه السلام عن الله سبحانه وتعالى، وهذا التعريف مذكور بوضوح في إنجيل مرقس إصحاح ١٢ عدد ٢٩ ونصه :
 (اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد)^(٢) .

(١) كتاب الإنجيل والصليب للأب عبد الأحد داوود الآشوري العراقي .

(٢) الكتاب المقدس، العهد الجديد .

١٥ - وهذا التعريف الذي ذكره السيد المسيح، وتقيد وقيد به أتباعه من الحواريين والتلاميذ وقتئذ مذكور بنصه وأصله في سفر التثنية من أسفار العهد القديم، وهي التوراة إصحاح ٦ عدد ٤ كما قدمنا وهو بلغة التوراة العبرانية يكون النص كالآتي:

(اسمع يا إسرائيل إلهنا يهوه - يهوه واحد) ويهوه هو العلم الذاتي لله، الواجب الوجود باللغة العبرانية، وهو باللغة العربية (الله جل جلاله) كما ورد عن المسيح أيضاً في إنجيل لوقا ص ٤ عدد ٨ قوله:

(أنه مكتوب: للرب إلهك تسجد.. وإياه وحده تعبد).

١٦ - والكتاب الذي أنزل على السيد المسيح هو الإنجيل.. ولفظة (إنجيل) تعني فكرة دينية وعقيدة معنوية، موضوعها التبشير بالسعادة الحقيقية.. وهذه السعادة الحقيقية موجودة في ملكوت الله الذي سيتقرر تأسيسه في المستقبل.

(٣)

١٧ - ويقول الأب عبد الأحد داوود الآشوري العراقي فيما يقرره في أبحاثه: إن المسيح عليه السلام لم يكن مكلفاً بتأسيس دين جديد، ولهذا السبب فإنه لم يكن لجماعة النصرانية إلى حين انعقاد مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م من كتاب ملهم رسمي غير كتب اليهود المقدسة العبرانية، وهي التوراة وما ألحق بها من أسفار الأنبياء، والذين تعاقبوا على الشعب اليهودي من بعد موسى عليه السلام.. وذلك انتظاراً لكلام ملكوت الله الذي بشر عنه المسيح عليه السلام، بأنه سيأتي بعده، وأنه جاء مبشراً بمجيئه، ألا وهو الإسلام وكتابه الخالد القرآن الكريم^(١).

١٨ - ويبيد الأب عبد الأحد داوود الملاحظات الآتية على كلام السيد المسيح نفسه والمسمى بالإنجيل:

أولاً: من المحقق أنه لم تكتب آية واحدة من الآيات النازلة على المسيح في حياته سواء فيما يختص بملكوت الله، أو كلامه الذي خاطب به بني إسرائيل.

(١) كتاب الإنجيل والصليب للأب عبد الأحد داوود الآشوري العراقي.

ثانياً: تلك الآيات بَلَّغها المسيح بصورة المشافهة.. كما تنقلت عنه كذلك بالشفاه.

ثالثاً: والحواريُّون وتلاميذ المسيح بَلَّغوا مضمون ذلك الكلام، ومعانيه إلى أخلافهم مشافهة دون أن يكتبوا شيئاً من ذلك.

رابعاً: إن العالمَ النصراني بقي حتى نهاية الربع الأول من القرن الرابع الميلادي بغير ما كتاب مسيحي مقدس معتمد.. أي حتى انعقاد مجمع نيقية سنة ٣٢٥ ميلادية.. بل كان هناك شتات من الكتب والرسائل المختلفة مع فئات النصرانية الكثيرة، وهناك في نيقية بعد طرد أنصار التوحيد من المؤتمر وعلى رأسهم آريوس، وقد كانوا أغلبيته، تم انتخاب أربعة كتب خلعوا على كل منها اسم (إنجيل)، كما تم انتخاب الرسائل المعتمدة حالياً وضموها إلى الكتب الأربعة الأخرى.

خامساً: إن النسخ الموجودة باللسان اليوناني للكتب الأربعة السابقة تحمل اسم إنجيل بصورة العنوان فقط.. أما نسختها المكتوبة باللسان السرياني، وهي المعتمدة جداً لدى كل عالم النصرانية المسماة (بشبطنا) أي البسيطة، فقد وضع عليها اسم (كاروزونا) أي موعظة أي أنها تحمل اسم موعظة في عنوانها، فتكون أسماؤها موعظة متى.. وموعظة مرقس.. وموعظة لوقا.. وموعظة يوحنا.

سادساً: وإذا كان الأمر كذلك لم يكن هناك برهان قوي على وجود إنجيل بهيئة كتاب مصدق من قبل المسيح عليه السلام.. وإن كان من المُسَلَّم به نزول هذا الإنجيل على المسيح.. ولكن ماذا كان ذلك الإنجيل؟.. وماذا صار إليه أمره؟

لا أحد الآن يعرف الإجابة على هذا السؤال.. خصوصاً وأنه من المُسَلَّم به أن المسيح لم يترك سطوراً واحداً بهيئة كتاب.

سابعاً: وينتهي الأب عبد الأحد داوود من تحقیقاته الدينية إلى اقتناعه وتيقنه أن قصة قتل المسيح وصلبه ثم قيامه من بين الأموات قصة خرافية، وأن الأناجيل الأربعة مع كونها ليست تأليف المسيح ذاته لم توجد في زمانه، بل وجدت بعد وفاة تلاميذه بزمان طويل، ووصلت محرّفة بعد أن لعبت بها أقلام كثيرة.

ثامناً: مما يؤيد هذا النظر الذي رآه الأب عبد الأحد داوود، ما ورد في قاموس الكتاب المقدس للدكتور جورج بوست الأميركي، بأن ما جاء في إصحاح ١٦ من إنجيل مرقس من عدد ٩ إلى عدد ٢٠ لم يكن في النسخ الأصلية القديمة، بل أضيفت إليه فيما بعد، وتلك الفقرات هي الآتي:

(وبعد ما قام باكراً في أول الأسبوع، ظهر أولاً لمريم المجدلية التي كان قد أخرج منها سبعة شياطين.. فذهبت هذه، وأخبرت الذين كانوا معه، وهم ينوحون ويبكون.. فلما سمع أولئك أنه حي، وقد نظرته لم يصدقوا.. وبعد ذلك ظهر بهيئة أخرى لاثنتين منهم، وهما يمشيان منطلقين إلى البرية.. وذهب هذان وأخبرا الباقيين فلم يصدقوا ولا هذين.. أخيراً ظهر للأحد عشر وهم متكئون ووبخ عدم إيمانهم وقساوة قلوبهم لأنهم لم يصدقوا الذين نظروه قد قام.. وقال لهم: اذهبوا إلى العالم أجمع وأكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها.. من آمن وتعمّد خلّص.. ومن لم يؤمن يُدَنّ.. وهذه الآيات تتبع المؤمنين يخرجون الشياطين باسمي، ويتكلمون بالسنة جديدة ويقبضون على الحيات، وإن شربوا شيئاً مميتاً لا يضرهم، ويضعون أيديهم على المرضى فيبرؤون، وإن الرب بعد ما كلمهم ارتفع إلى السماء، وجلس عن يمين الله.. وأما هم فخرجوا وكرزوا في كل مكان، والرب يعمل معهم ويثبت كلامهم بالآيات التابعة.. آمين).

١٩ - وما دمنّا قد تعرضنا لإنجيل أو عظة أو كتاب مرقس فلا بد من ذكر هذه الملاحظات عليه:

أولاً: هو أقدم العظات الأربع متى ومرقس ولوقا ويوحنا كما يقرر الباحثون.
ثانياً: إن المتأمل فيه يتبين منه أن المسيح لم يسعى إطلاقاً لتأسيس كنيسة أو دين جديد.

ثالثاً: إن المسيح كان يكتفي فقط بتفسير كل أقسام الشريعة بمعانيها الحقيقية.
رابعاً: إن مقصود التعاليم التي بثها المسيح هو إعداد كل شيء لمجيء ملكوت الله الذي سيأتي فيما بعد، والذي أرسل المسيح بصورة خاصة لأجل البشارة عنه.
٢٠ - أما الأناجيل الأربعة أو العظات الأربع فيلاحظ عليها عموماً تياران مختلفان:

أحدهما: يصور المسيح بسيرته الحقيقية، وواضح ذلك في متى ومرقس ولوقا، وظاهر ذلك في الطبقات الأولى لها. . لكنه تغير في الطبقات الثانية والثالثة وما بعد ذلك. . إذ قلبوا المعلم وجعلوه رباً وإلهاً نازلاً من السماء إلى الأرض.

ثانيهما: تيار يصور المسيح بأنه كلمة الله. . وابن الله تجسد وصار إنساناً، وهذا ما سطرته العظة الرابعة المسماة بإنجيل يوحنا.

٢١ - إذاً ما هي المهمة التي أرسل الله بها المسيح عليه السلام؟

إن المهمة الخاصة التي أرسل الله بها المسيح عليه السلام هي الآتي:

أولاً: إصلاح بني إسرائيل.

ثانياً: شرح الشريعة الموسوية.

ثالثاً: بث النشاط والروح الجديدة فيها.

وكل ما يخالف المعاني السابقة ليس بصحيح وإن الحق بالمواعظ الأربعة التي يخلعون عليها لفظ أناجيل. ومثال ذلك:

فإن من يقول: (لم أرسل إلا لخراف بني إسرائيل الضالة). لا يقول: (أنا نور العالم) أو يقول: (اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم). فالعبارة الأولى هي الأخرى بالاعتماد عليها والاعتقاد بصدقها. . أما العبارات المخالفة فيجب طيها وعدم الالتفات إليها.

٢٢ - انتقد الأناجيل الأربعة السالف الإشارة إليها جماعة من المتقدمين بل وقاوموها مثل سلسول سنة ١٨٠ م وباسيليوس نحو سنة ١٢٥ م ومارسيون في نحو سنة ١٥٠ م وقالوا إنها كتبت باللغة اليونانية ما عدا إنجيل متى فكتب باللغة العبرانية، ثم ترجم إلى اليونانية وبالبحت عن الأصل العبراني تبين فقده.

٢٣ - وقد ذكر الدكتور جورج بوست الأميركي أن تلك الأناجيل الحالية تختلف عن نسخ الأناجيل القديمة^(١).

(١) قاموس الكتاب المقدس، للدكتور جورج بوست.

(٤)

٢٤ - كيف دخل التثليث في عقيدة النصرانية؟

أولاً: الحقيقة الواقعة والتي لا جدال فيها أن التوحيد الخالص المجرد هو أساس الديانة النصرانية وأصلها، والذي عليه أتباع المسيح ومن جاء بعدهم، وذلك حتى انقضاء القرون الثلاثة الأولى التي تلت وجود المسيح، (كما هو أصل وأساس جميع الأديان السماوية)، ولم تحدث عقيدة التثليث إلا حينما دخل الوثنيون من الرومان، والمصريين واليونانيين في النصرانية، فنقلوا معهم عقيدة التثليث المتأصلة في نفوسهم، وعقولهم من قديم، وأدخلوها ديانة النصرانية منذ تلك الأيام.

ثانياً: فلقد دعا الأمبراطور الروماني قسطنطين أغوصطينيوس لعقد مجمع لتقرير عقيدة للنصرانية في المسيح والدين، وقد انعقد ذلك المجمع سنة ٣٢٥ ميلادية وحضره ٢٠٤٨ من الأساقفة من جميع أنحاء الإمبراطورية الرومانية، وكان فارسا هذا المؤتمر اثنين هما آريوس رئيس الموحدين، وكان أسقفاً في نيقوميديا، وفي رواية أخرى كان أسقفاً بالإسكندرية، والفارس الآخر هو أثناسيوس الراهب الشاب من نصارى الإسكندرية، وكان يتزعم فكرة التثليث وألوهية المسيح.

ثالثاً: قرر الموحدون وعلى رأسهم آريوس أن كل الكتابات والمحركات القديمة التي تتضمن التثليث وتجسيد المسيح محرفة وزائفة، ولذلك طلبوا بكل شدة طيها، لأنها محررات وكتابات كاذبة، وأن المسيح مخلوق، وأنه عبد الله، واستندوا في ذلك إلى ما لديهم من الآيات الإنجيلية، وكذا بتفسير الآباء السابقين في النصرانية. . وقد اعترف بحقيقة التوحيد الثلاثي في مؤتمر نيقية حيث ناصر آريوس وهم أكثرية المجتمعين في المؤتمر.

رابعاً: لكن أثناسيوس راهب الإسكندرية رفض الموافقة على رأي الموحدين وذكر أن المسيح إله تام، وأنه متحد الجوهر مع الله، واستند على فقرات وكتابات منسوبة إلى بعض آباء الكنيسة الآخرين، وقد أيد ثلث أعضاء المؤتمر تلك الفكرة التي نادى بها أثناسيوس راهب الإسكندرية، واشتد النزاع والنقاش بين الفريقين حتى وصل الأمر إلى حد السباب والمشاتمة، ثم إلى المجادلة والمضاربة.

خامساً: وكان المأمول وقتئذٍ تدخل السلطة للتوسط بين الفريقين، والتمسك برأي أغلبية المؤتمر، وهم أنصار التوحيد لكنّ ما حدث كان عكس ذلك، فقد تبطن الإمبراطور قسطنطين رأي صديقه وابن وطنه بابا روما، والذي توافقت ميوله مع ميول بابا الإسكندرية على تقرير عقيدة الثالوث أو التثليث، وألوهية المسيح. وبناء على ذلك أمر الإمبراطور بأن يطرد من المؤتمر أكثر من سبعمائة من الرؤساء الروحانيين أنصار التوحيد، حيث نفى بعضاً منهم وقتل البعض الآخر، وعلى رأسهم آريوس زعيم الموحدين.

سادساً: إنه يمكن القول بأن المسيح عليه السلام أنبأ بهذا الحادث العظيم بقوله الوارد عنه في إنجيل يوحنا إصحاح ١٦ عدد ٢، ٣ ونصه:

(سيخرجونكم من المجامع، بل تأتي ساعة فيها يظن كل من يقتلكم أنه يقدم خدمة لله.. . وسيعملون هذا بكم لأنهم لم يعرفوا الآب ولا عرفوني)^(١).

سابعاً: ولقد كوّن الإمبراطور قسطنطين مجمعاً محدوداً من ٣١٨ أسقفاً ممن يؤيدون فكرة ألوهية المسيح، وتحت الترغيب والترهيب وضعوا توقيعاتهم على الوثيقة المشهورة بعنوان عقيدة نيقية، أو عقيدة الأمانة مشتركين في ذلك مع نواب بابا روما، وفرقة أثاناسيوس راهب الإسكندرية.

ثامناً: وفي ذلك المجمع المحدود قد تقرر رفض كتب النصرانية الكثيرة خصوصاً تلك التي تضمنت وحدانية الإله، وعبودية المسيح لله، بوصفها مشتملة على تعاليم لا تتوافق مع عقيدة نيقية الجديدة، بل قرر المؤتمر المذكور إحراق تلك الكتب وإعدامها وإبادتها.

٢٥ — وأركان عقيدة التثليث لدى النصرانية أو عقيدة نيقية هي الآتي:

(أ) الآب.. . وهو الأقنوم الأول من الذات الإلهية الثلاثة مع كونه والد الأقنوم الثاني وأنهما من جوهر واحد.

(١) الكتاب المقدس، العهد الجديد.

(ب) الابن.. وهو الأقنوم الثاني مع كونه ولد الأقنوم الأول وابنه الوحيد.. فإنه خلّص العالم من الخطيئة بقتله على الصليب.

(ج) الروح القدس.. وهو الأقنوم الثالث وقد صدر عن ركني التثليث الآخرين بصورة دائمة أبدية ومهمته إعطاء الحياة.

٢٦ - ويقرر الكاردينال منبوع الإنجليزي أنه إذا لم تكن وفاة المسيح صلباً حقيقيةً فحيثئذ يكون بناء عقيدة الكنيسة قد هدم من الأساس، لأنه إذا لم يمت المسيح على الصليب لا توجد الذبيحة ولا النجاة ولا التثليث^(١).

إن الكنيسة التي تعلن الحرب على الأصنام كما تدّعي، هي بذاتها تعبد صليلاً مصنوعاً من معدن أو خشب بدعوى أنه كشف سر التثليث، وفي اعتقادهم أن النصراني الذي لا يرسم الصليب على وجهه، أو لا يقبل الصليب المصنوع من المعدن أو الخشب لا تقبل عبادته.

٢٨ - مما تقدم يتبين أن عقيدة التثليث أصبحت بسلطة إمبراطور الرومان قسطنطين وقوته، وخصوصاً في مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م وما بعده، هي عقيدة النصرانية الرسمية، ومما تجدر الإشارة إليه في مجامع النصارى الكَنَسِيَّة أنه كان أكثر الحاضرين فيها من الرومان واليونان والمصريين (ممن تنتشر بينهم عقيدة الثالوث في دياناتهم السابقة على النصرانية) فكانت لهم السيطرة والنفوذ على تلك المجمع، فأجمعوا على تثبيت عقيدة الثالوث في النصرانية مع أن جميع الكتب السماوية تأبأها حتى الأناجيل المتداولة بينهم تأبأها.

٢٩ - والعجيب في الأمر أن الإمبراطور قسطنطين والذي يعتبر هو المؤسس لعقيدة نيقية، هو ذلك الملك الوثني الروماني لما ثبت بشهادة (أبوسيبوس أسقف قيصرية، والذي تقدسه الكنيسة وتمنحه لقب سلطان المؤرخين، وكان صديقاً للإمبراطور.. قرر صراحةً أن الإمبراطور المذكور اعتمد منه حين كان مريضاً وأسير الفراش، أي بمعنى آخر أنه لم يدخل في النصرانية حال حياته، وحال انعقاد مؤتمر نيقية بل دخل النصرانية واعتمد فيها وهو على فراش الموت).

(١) كتاب كهنوت الأبدية، للكاردينال منبوع الإنجليزي.

٣٠ - يقول بعض النصارى إن تمسكهم بالتثليث راجع إلى ما ورد في إنجيل متى ص ٢٨ عدد ١٩ من أن المسيح ظهر لتلاميذه بعد صلبه، وموته، وقال لهم:

(فاذهبوا وتعلموا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس).

لكن هل هذه العبارة تفيد الانسلاخ من التوحيد إلى التثليث؟

والجواب على ذلك: أن هذه العبارة (على فرض ورودها حقيقة من المسيح) فإنها لا تفيد أدنى دلالة على فهم النصارى من أن الله الواحد الأحد الفرد هو ثلاثة أقانيم - أقنوم الآب وأقنوم الابن وأقنوم الروح القدس - بل هي صريحة في أن كل واحد من هذه الثلاثة هو غير الآخر تماماً لأن العطف يقتضي المغايرة، والمعنى السليم للنص هو:

(عمدوهم باسم كل واحد من هذه الثلاثة المتغايرة:

(أ) فالآب - هو الله تعالى - وهو أب لكل الأنبياء والأولياء والمرسلين والقدسين، بل ولعموم المؤمنين، كما هو مصرح في الإنجيل أيضاً.

(ب) والابن - الذي يراد به المسيح - أطلق أيضاً على إسرائيل وداوود وسليمان، بل وأطلق على آدم في العهد القديم - كما أطلق على كل صالح، كما هو مصرح به أيضاً في الإنجيل، وهو - العهد الجديد إذ ليس هو خاص بالمسيح.

(ج) وأما الروح القدس فهو ذلك الوحي أو الوحي نفسه الذي ينزل على المسيح وعلى أمثاله من الأنبياء - وليس خصوصية للمسيح فقط.

والمعنى المستفاد من النص المذكور والذي لا يصح أن يفهم سواه هو الآتي:

عمدوا الأمم وعلموا أبناءها:

* باسم الآب: أي الله الواحد الأحد الفرد الذي لا شريك له.

* باسم الابن: أي المسيح بمعناه الذي حدده هو عن نفسه بكلامه - بالرسالة - أي أنه رسول من الله.

* وباسم الروح القدس: أي الوحي الذي نزل على المسيح عليه السلام وعلى من قبله من الأنبياء والمرسلين وبعبارة مختصرة علموا الأمم:

* وحدانية الإله الأحد، الذي وحده يستحق العبادة والتقديس .

* ورسالة المسيح وغيره من الأنبياء الذين سبقوه .

* والوحي الذي أنزل عليه لهداية المنذر إليهم – والوحي الذي أنزل على من كان قبله من الأنبياء .

٣١ – وهناك بعض النصارى يقولون: إن بعض الأناجيل المتداولة بينهم ورد بها إطلاق لفظ (إله) على المسيح، مما يؤيد سلامة معتقداتهم، لكن يرد على ذلك بأن لفظ (إله) أطلق ليس على المسيح وحده بل أطلق على الملك، وعلى كل نبي وعلى كل متسلط:

(أ) ففي سفر الخروج إصحاح ٧ عدد ١:

(فقال الرب لموسى: انظر أنا جعلتك إلهاً لفرعون، وهارون أخاك يكون نبيك).

(ب) وجاء بالسفر المذكور أيضاً ص ٤ عدد ١٦:

(وهو – أي هارون – يكلم الشعب عنك وهو يكون لك فماً وأنت تكون له إلهاً).

فإذا كان إطلاق اسم الإله في الإنجيل على المسيح يلزم أن يكون هو الله بذاته وعينه كما يفهم رجال الدين النصراني، فإن موسى يلزم أن يكون هو الله بذاته وعينه أيضاً بحكم هذا المنطق غير أنه لم يقل أحد بذلك مطلقاً.

وحيث إن إطلاق اسم (الإله) في الكتب المقدسة ليس مخصوصاً بالمسيح، ولا يوجد وجه بتخصيص المسيح بالألوهية الحقيقة دون غيره من الأنبياء والملائكة.

(٥)

٣٢ – ولقد كتبت دائرة معارف لاروس الفرنسية (أنسكلوبيديه) للقرن التاسع عشر

في موضوع التوحيد والتثليث مايلي: (١)

(عقيدة التثليث وإن لم تكن موجودة في كتب العهد الجديد (الإنجيل)، ولا في أعمال الآباء الرسولين، ولا عند تلاميذهم الأقربين – إلا أن الكنيسة الكاثوليكية، والمذهب البروتستانتي التقليدي، يدعيان أن عقيدة التثليث كانت مقبولة عند المسيحيين

(١) دائرة معارف لاروس الفرنسية، للقرن التاسع عشر.

في كل زمان، رغمًا عن أدلة التاريخ الذي يرينا كيف ظهرت هذه العقيدة، وكيف تمت وكيف علقت بها الكنيسة بعد ذلك.

نعم إن العادة في التعميد كانت أن يذكر على الشخص المعمد اسم الآب والابن والروح القدس، ولكن لهذه الكلمات مدلولات غير ما يفهم منها نصارى اليوم، وأن تلاميذ المسيح الأولين الذين عرفوا شخصه وسمعوا قوله، كانوا أبعد الناس عن الاعتقاد بأنه أحد الأركان الثلاثة المكونة لذات الخلق.

وما كان بطرس تلميذ المسيح يعتبر المسيح أكثر من رجل يوحى إليه من عند الله.

أما بولس فإنه خالف عقيدة التلاميذ الأقربين لعيسى، وقال: إن المسيح أرقى من إنسان وهو نموذج إنسان جديد — أي عقل سام متولد من الله.

(وكان الشأن في تلك العصور أن عقيدة إنسانية عيسى كانت غالبية طويلة مدة تكون الكنيسة الأولى من اليهود المتنصرين، فإن الناصريين سكان مدينة الناصرة وجميع الفرق النصرانية التي تكونت من اليهودية، اعتقدت بأن عيسى إنسان بحث، مؤيد بالروح القدس. وما كان أحدهم يتهمهم إذ ذاك بأنهم مبتدعون وملحدون، فكان في القرن الثاني في الكنيسة مؤمنون يعتقدون أن عيسى هو المسيح، ويعتبرونه إنساناً بحثاً، وإن كان أرقى من غيره من الناس، وحدث بعد ذلك أنه كلما نما عدد من تنصر من الوثنيين ظهرت عقائد جديدة لم تكن من قبل).

(انتهى كلام دائرة المعارف الفرنسية).

(٦)

٣٣ — ويقول الأستاذ عوض سمعان الباحث القبطي في أحد كتبه مشيراً لنفس ما أشارت به دائرة المعارف السابقة:

(إن المتفحص لعلاقة الرسل، والحواريين بالمسيح، يجد أنهم لم ينظروا إليه إلا على أنه إنسان، ولم يتصوروا على الإطلاق أنه إله. ولكن لماذا؟؟).

(أ) لأنهم أي الرسل والحواريين كيهود، كانوا يعلمون تمام العلم أن الاعتراف بأن إنساناً هو الله يعتبر تجديفاً يستحق الرجم في الحال.

(ب) ولأنهم كيهود أيضاً كانوا يستبعدون أن يظهر الله في هيئة إنسان. نعم كانوا ينتظرون (المسيا) لكن المسيا بالنسبة إلى أفكارهم التي توارثوها عن أجدادهم، لم يكن سوى رسول ممتاز، يأتيهم من عند الله وليس هو ذات الله^(١).

٣٤ - ومما تقدم يتبين أن الأصل في ديانة النصرانية، هو التوحيد، والمسيح لم يأت لينقض هذا الأساس بل جاء ليقرره ويؤكدده، فهو لم يأت لينقض الناموس الذي جاء به موسى عليه السلام، بل جاء ليتمم كما قال بما هو وارد عنه في الأناجيل، ولكن طراً على عقيدة النصرانية عاملان نقضا الناموس حجراً حجراً، ولبنة لبنة، ومسحاً عقيدة التوحيد النقية إلى عقيدة التثليث وهذان العاملان هما:

أولاً: بولس الذي كان عدواً للنصارى والنصرانية، وهو لم يرَ المسيح ولم يجتمع به بالمرّة وزعم أنه دخل النصرانية وجعل يكرز في المجامع بأن المسيح هو ابن الله^(٢).

ثانياً: مجمع نيقية الذي انعقد سنة ٣٢٥ ميلادية بأمر الإمبراطور قسطنطين كما أشرنا إلى ذلك آنفاً.

الأقانيم وما تشير إليه

الأقانيم جمع أقنوم هي كلمة يونانية، تعني الأصل أو المبدأ، وكان فلاسفة الإغريق يرجعون وجود العالم إلى أصول ثلاثة، وقد أثرت هذه الفلسفة الإغريقية في تفلسف النصرانية بعقيدة التثليث، إذ أولوا نصوص العقيدة النصرانية على نمط الفلسفة الإغريقية في الأقانيم الثلاثة عندهم، وهي:

الوجود - والعلم - والحياة.

والألفاظ الدالة عليها في المصدر النصي للنصرانية هي:

الله - كلمة الله - الروح القدس:

(١) كتاب (الله... طرق إعلانه عن ذاته)، للأستاذ عوض سمعان.

(٢) يُرجع في هذا إلى الباب الخامس من كتاب النصرانية والإسلام للمؤلف تحت عنوان (بولس الرسول) وأثره في النصرانية.

فالله — في مقابل أقنوم الوجود.

وكلمة الله — في مقابل أقنوم العلم.

والروح القدس — في مقابل أقنوم الحياة.

رأي النساطرة:

وهم أتباع نسطور، يرون أنها ترجع إلى شيء واحد هو (الوجود).

فالوجود: هو الجوهر، وهو الذات الواحدة.

والعلم والحياة صفتان أو اعتباران له^(١).

• • •

(١) الإسلام والمدنية الحديثة للعلامة أبو الأعلى المودودي — نشر بمجلة الأزهر الجزء الثالث السنة

الخمسون رجب سنة ١٣٩٨ هـ بونيه سنة ١٩٧٨ م.

الباب الثاني
مناقشة ألفاظ (ابن – آب – ولادة)

أولاً: لفظ ابن

إطلاقات . . لفظ ابن الله :

يدعي النصارى بأن المسيح عيسى بن مريم هو ابن الله، وبذلك حل فيه الأفتنوم الثاني .

ويرد على ذلك بأن لفظ ابن الله لم يقتصر في الكتب المقدسة على المسيح عيسى بن مريم أو يسوع بن مريم كما يطلق عليه في العهد الجديد من الكتاب المقدس، بل أطلق ابن الله على كثيرين غيره طبقاً للآتي :

١ - آدم عليه السلام :

ورد في إنجيل لوقا ص ٣ عدد ٢٣ - ٣٨ الآتي عنه :

(ولما ابتدأ يسوع كان له نحو ثلاثين سنة، وهو على ما كان يظن ابن يوسف بن هالي . . . إلخ ابن أنوش بن شيث بن آدم بن الله .

والمعنى عن آدم :

يعني أن الله خلقه بدءاً لا بالولادة كسائر البشر . . . ويجوز أن يكون المعنى نفسه بالنسبة للمسيح، أن الله خلقه بدءاً بدون زواج أمه برجل .

وعن الأفتنوم :

أنه كما لم تقتضِ بنوة آدم لله حلول الأفتنوم الثاني فيه لا يلزم ذلك في المسيح أيضاً .

* * *

٢ - سليمان عليه السلام:

(أ) ورد في سفر صموئيل الثاني، يقول الله خطاباً لداوود عليه السلام:
(متى كملت أيامك، واضطجعت مع آبائك.. أقيم بعدك نسلك الذي يخرج من أحشائك.. وأثبت مملكته وهو يبني بيتاً لاسمي.. وأنا أثبت كرسي مملكته إلى الأبد.. أنا أكون له أباً.. وهو يكون لي ابناً).

(انظر سفر صموئيل ص ١٧ عدد ١٢ - ١٣).

(ب) وورد في سفر الأيام الأول عن الله خطاباً لداوود:
(ويكون متى كملت أيامك لتذهب مع آبائك أني أقيم بعدك من نسلك الذي يكون مني بينك، وأثبت مملكته وهو يبني لي بيتاً.. وأنا أثبت كرسيه إلى الأبد.. أنا أكون له أباً.. وهو يكون لي ابناً.. ولا أنزع رحمتي عنه).

(انظر سفر الأيام الأول ص ١٧ عدد ١١ - ١٣).

* * *

٣ - الشرفاء أو الأقوياء:

(أ) ورد في سفر التكوين ص ٦ عدد ٢:

(وحدث أن أبناء الله رأوا بنات الناس أنهن حسنات... إلخ).

(ب) وورد في السفر السابق ص ٦ عدد ٤:

(وبعد ذلك أيضاً.. إذ دخل بنو الله على بنات الناس وولدن لهم أولاداً).. قيل إنهم أبناء شيث الأقوياء وأن بنات الناس هن بنات قابين.

(ج) وورد في المزامير.. انظر مزمور ٢٩ عدد ١:

(قَدِّمُوا لِلرب يا أبناء الله.. قدموا للرب مجداً وعزاً) وفسرت بالأقوياء الأشداء.

(د) وجاء في سفر أيوب ص ١ عدد ٦:

(وكان ذات يوم أنه جاء بنو الله ليمثلوا أمام الرب) وفسروه بالشرفاء.

* * *

٤ - أطلقت الأسفار ابن الله على كل إسرائيلي طاهر، أم غير طاهر، طبقاً للآتي:

- (أ) (لما كان إسرائيل غلاماً أحببته . . ومن مصر دعوت ابني).
(انظر سفر هوشع ص ١١ عدد ١).
(ب) (ويكون عوضاً عن أن يقال لهم: لستم شعبي، يقال لهم: أبناء الله الحي).
(انظر سفر هوشع إصحاح ١ عدد ١٠).
(ج) (وورد في سفر أشعيا ص ٣٠ عدد ١ عن بني إسرائيل:
(ويل للبنيين المتمردين يقول الرب).
(د) (وفي السفر السابق أيضاً عن بني إسرائيل ص ٤٣ عدد ٦:
(أقول للشمال أعط . . وللجنوب لا تمنع . . أنت بني من بعيد . . وبناتي من أقصى الأرض).

- (هـ) وفيه أيضاً ص ٤٥ عدد ١١:
(اسألوني عن الآيات من جهة بني).
(و) (وفي سفر أرميا ص ١٠ عدد ٢٠:
(بني خرجوا عني).
(ز) (وفي حزقيال ص ١٦ عدد ٢٠ عن أورشليم:
(أهو قليل من زناك أنك ذبحت بني).
(ح) (وفي سفر أشعيا ص ١ عدد ٢:
(اسمعي أيتها السموات وأصغي أيتها الأرض لأن الرب يتكلم بين ربّي
ونشأتهم . . أما هم فعصوا علي).

- (ط) (وفي مزمور ٨٠ عدد ١٤:
(يا إله الجنود - إزجّع، تطلّع من السماء وانظر، وتعهد هذه الكرمة والغرس الذي
غرسه يمينك والابن الذي اخترته لنفسك).

(ي) وفي سفر أشعيا ص ٦٣ عدد ٨ :
(أنهم شعبي بنون لا يخونون).

(ك) وفي سفر التثنية ص ٣٢ عدد ١٩ :
(فرأى الرب ورذل من الغيظ بنيته وبناته).

* * *

٥ - أطلقت الرسائل المسيحية والأنجيل لفظ (ابن الله) على كل نصراني طبقاً للآتي :

(أ) قال بولس في ص ٤ عدد ٦ من رسالته لأهالي غلاطية :
(ثم بما أنكم أبناء؛ أرسل الله روح ابنه إلى قلوبكم).

(ب) ورد بإنجيل لوقا ص ٢٠ عدد ٣٦ القول المنسوب للمسيح عليه السلام :
(إذ لا يستطيعون أن يموتوا أيضاً لأنهم مثل الملائكة وهم أبناء الله).

(ج) ورد في سفر أعمال الرسل ص ١٧ عدد ٢٨ - ٢٩ قول بولس :
(فإذ نحن ذرية الله).

(د) ورد في إنجيل متى ص ١٢ عدد ٥٠ على لسان المسيح :
(لأن كل من يعمل بإرادة أبي الذي في السموات هو أخي وأختي وأمي).

* * *

٦ - أطلقت الأسفار ابن الله على كل عبد بار سواء كان نصرانياً أو غير ذلك، فمثلاً :

(أ) قال داوود في مزموره (٨٩ عدد ٦) :
(من يشبه الرب بين أبناء الله).

(ب) ورد بإنجيل متى ص ٥ عدد ٤٤ ، ٤٥ على لسان المسيح :
(وصَلُّوا لأجل الذين يسيئون إليكم، ويطردونكم لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السموات).

(ج) ويقول بولس في رسالته إلى مؤمني روما ص ٨ عدد ١٤ :
(لأن كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله).

(د) وفي رؤيا يوحنا اللاهوتي ص ٢١ عدد ٧ :
(من يغلب يرث كل شيء — وأنا أكون له إلهاً وهو يكون لي ابناً).
(والغلبة تعني الإيمان — انظر في ذلك رسالة يوحنا الأولى ص ٥ عدد ٤).
(وهذه هي الغلبة التي تغلب العالم : إيماننا).

(هـ) ويقول بولس في رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس ص ٦ عدد ١٨ :
(وأنتم تكونون لي بنين وبنات يقول الرب القادر على كل شيء).

(ز) وورد في إنجيل متى ص ٥ عدد ٩ قول المسيح :
(طوبى لصانعي السلام لأنهم أبناء الله يدعون).

والخلاصة لما تقدم :

يتبين من أسفار النصارى أن المسيح عليه السلام فسر البنوة لله بمن يتشبه بالله في
مقابلة الإساءة بالإحسان، وتعميم رحمته للأشرار والأبرار، كما في قوله لتلاميذه وهو
يعلمهم :

(سمعتم أنه قيل تحب قريبك وتبغض عدوك — وأما أنا فأقول لكم أحبوا أعداءكم،
باركوا لاعنيكم — أحسنوا إلى مبغضيكم — وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم
ويطردونكم؛ لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السموات، فإنه يشرق شمس على الأشرار
والصالحين ويمطر على الأبرار والظالمين).

(انظر إنجيل متى ص ٥ عدد ٤٣، ٤٤، ٤٥).

* * *

٧ — ولقد أطلقت الأسفار ابن إبليس على العبد الشرير :

فكل عبد شرير وكل من يخالف مشيئة الله دعه الأسفار ابن إبليس ومن أمثلة ذلك :

(أ) قال بولس في أعمال الرسل ص ١٣ عدد ١٠ في (عليم الساحر) الذي كان
يدعي النبوة كذباً وهو يهودي اسمه (باريشوع) :

(أ) أيها الممتلىء كل غش وكل خبث يا (ابن إبليس).

(ب) وقال يوحنا في رسالته الأولى ص ٣ عدد ٨:

(من يفعل الخطيئة فهو من إبليس — لأن إبليس من البدء يخطيء).

(ج) وقال المسيح كما هو وارد في إنجيل متى ص ١٢ عدد ٣٤ عن أعدائه من

اليهود:

(يا أولاد الأفاعي — كيف تقدر أن تتكلموا بالصالحات وأنتم أشرار).

والأفاعي في اصطلاح الأسفار تعني الشياطين — كما قال علماء النصرانية المدققون

أن حية التكوين الواردة في الإصحاح الثالث من ذلك السفر هي الشيطان.

* * *

٨ — أطلقت الأسفار بنوة الخاطيء في بعض منها للصنم، ومن أمثلة ذلك ما ورد

في سفر ملاخي ص ٥ عدد ١١:

(لأن يهوذا قد نجس قدس الرب الذي أحبه وتزوج بنت إله غريب).

يريد أن يقول أن اليهود صاهروا الأمم الوثنية.

* * *

٩ — أطلقت بعض الأسفار (ابن الشيء) على من كان ملازماً لذلك الشيء، ومجاً

له والأمثلة على ذلك الآتي:

(أ) (أولاد اللعنة) ورد ذلك في رسالة بطرس الثانية ص ٢ عدد ١٤.

(ب) و (بنو الملكوت) ورد هذا بإنجيل متى ص ١٣ عدد ٣٨.

(ج) و (بنو العرس) ورد هذا بإنجيل مرقس ص ٢ عدد ١٩.

(د) و (الحرب على بني الإثم) ورد هذا بسفر هوشع ص ١٠ عدد ٩.

(هـ) (لأن أبناء هذا الدهر أحكم من أبناء النور في جبلهم) ورد هذا بإنجيل لوقا

ص ١٦ — عدد ٨.

(و) (هم أبناء الله إذ هم أبناء القيامة) ورد هذا بإنجيل لوقا ص ٢٠ عدد ٢٦.

(ز) (آمنوا بالنور لتصيروا أبناء النور) ورد هذا بإنجيل يوحنا ص ١٢ عدد ٣٦.

(ح) (يأتي غضب الله على أبناء المعصية) ورد هذا برسالة بولس إلى أهل كورنثوس ص ٣ عدد ٦.

(ط) (ولم يهلك منهم أحد إلا ابن الهلاك) ورد هذا بإنجيل يوحنا ص ١٧ عدد ١٢.

(ي) (وابن الإثم لا يُدَلِّه) ورد هذا بمزمور ٨٩ عدد ٢٢.

* * *

١٠ — أطلقت الأسفار في بعضها ابن البلد كابن صهيون على الشخص الذي نشأ فيها أو المحل الذي يسكن فيه، ومن أمثلة ذلك:

(أ) (ليتهج بنو صهيون بملكهم).

ورد هذا بمزمور ١٤٩ عدد ٢.

(ب) (أخذت بنيك وبناتك الذين ولدتهم لي وذبحتهم لها).

ورد هذا في سفر حزقيال ص ١٦ عدد ٢٠.

(ج) ورد بإنجيل متى قول المسيح مخاطباً الكتبة الفرّيسيّون، وذلك في ص ٢٣

عدد ١٥:

(تطوفون البحر والبر لتكسبوا دخيلاً واحداً — ومتى حصل تضعونه ابناً لجهنم).

وورد في سفر نشيد الإنشاد ص ٣ عدد ٧:

(أُحْلَفُكُمْ يا بنات أورشليم).

* * *

وخلاصة البحث:

إن لفظة (ابن الله) أطلقت على كل من له صلة بالله من الأنبياء، والشرفاء، والأقوياء، وشعب إسرائيل الطاهرين، وتابعي المسيح المؤمنين، بل وعلى كل مطلق مستقيم بار كامل في الله.

والقاعدة:

١ — إن كل الذين ينقادون بروح الله هم (أبناء الله) انظر رسالة رومية ص ٨

عدد ١٤، أما كل جاحد شرير، وكل من يعمل الخطايا، فقد أطلق عليه (ابن إبليس)، والسبب في ذلك القربى والصلة المعنوية.

فمن كان قريباً من الله قريباً معنوياً، وله به صلة بسبب أنه يعمل بمشيئته، ويمثل أمره فهو ابنه، ومن كان قريباً من إبليس وله به صلة بسبب أنه يعمل الآثام والمعاصي فهو ابن له.

٢ - لا يلزم من ذلك الإطلاق حلول أقنوم الابن - الأقنوم الثاني - في أجساد من ذكروا - وبالتالي فلا حجة، ولا يلزم من إطلاق لفظ ابن الله على المسيح أن يحل عليه أقنوم كما يزعم النصارى، إنما غاية ما يرمي إليه ذلك الإطلاق أن المسيح عبد بار لله، يفعل مشيئته ويتقيه ويعبده بإخلاص.

علة تسمية بعض الناس بلفظ ابن الله :

العلة في ذلك هو صلاح هؤلاء الناس، وبرهم وتقاهم، وفعلهم مشيئة ربهم طبقاً للآتي:

١ - إذا نظرنا في سفر صموئيل الثاني ص ٧ عدد ١٣ نجده يقول في وصف سليمان عليه السلام:

(هو يبنى بيتاً لاسمي).

ثم يقول في عدد ١٤ :

(وهو يكون لي ابناً)..

وفي سفر الأيام الأول ص ١٧ عدد ١٢ يقول:

(هو يبنى لي بيتاً).

ثم يقول في عدد ١٣ :

(وهو يكون لي ابناً).

ومن هنا تبين علة تسمية سليمان (بالابن لله) هذه العلة هي كما سبق في علم الله (أنه يبنى بيتاً لله) فيكون باراً بذلك.

ومن أجل هذا قال في الموضوعين - يكون - ولم يقل كان - إشارة إلى أنه لا يستحق شرف التسمية (بالابن) إلا بعد البناء السابق في علم الله أن يصير، ولا شك أن بناء بيت الله هو من أعظم أنواع البر.

٢ - إذا دققنا النظر في قول المسيح عليه السلام، الذي يحكيه عنه إنجيل متى في إصحاح ٥ عدد ١٤، ٤٥ وهو الآتي:

(وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم - لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السموات).

فتبين علة صيرورتهم أبناء الله، ألا وهي برهم بصلاتهم للذين يسيئون إليهم ويطردونهم.

٣ - والملاحظ في قول بولس في رسالته إلى رومية إصحاح ٨ عدد ١٤ ونصه:

(لأن كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله).

فاهتداء هؤلاء القوم بإرشاد الوحي إلى البر هو علة تسميتهم أبناء الله.

٤ - والمتأمل فيما هو منسوب إلى الله في سفر رؤيا يوحنا اللاهوتي إصحاح ٢١ عدد ٧:

(من يغلب يرث كل شيء - وأنا أكون له إلهاً - وهو يكون لي ابناً).

مع قول يوحنا في رسالته الأولى إصحاح ٥ عدد ٤:

(وهذه هي الغلبة التي تغلب العالم: إيماننا).

فمن ذلك يتبين أن صاحب سفر الرؤيا اعتبر الإيمان بالله علة للتسمية بالابن لله.

٥ - وورد في رسالة بولس لأهالي كورنثوس الثانية إصحاح ٦ من عدد ١٤ -

١٨:

(لا تكونوا تحت نير مع غير المؤمنين، لأنه أية خلطة للبر والإثم؟! وأية شركة

للنور مع الظلمة؟ وأي اتفاق للمسيح مع إبليس؟ وأي نصيب للمؤمن مع غير المؤمن؟

وأية موافقة لهيكل الله مع الأوثان؟ فإنكم أنتم هيكل الله الحي، كما قال الله: إني سأسكن

في وسطهم وأسير بينهم، وأكون لهم إلهاً، وهم يكونون لي شعباً، لذلك اخرجوا من

وسطهم، واعتزلوا بقول الرب، ولا تمسوا نجساً! فأقبلكم، وأكون لكم أباً، وأنتم تكونون لي بنين وبنات، يقول الرب القادر على كل شيء).

فيفهم من الكلام السابق أن كونهم بنين وبنات للرب معلول لعله برّهم السابقة بانفصالهم عن عالم الإثم والمعصية.

٦ - إن من يمعن النظر في القول المنسوب للمسيح عليه السلام الوارد بإنجيل لوقا إصحاح ٦ عدد ٣٥ ونصه:

(أحبوا أعداءكم - وأحسنوا وأقرضوا، وأنتم لا ترجون شيئاً، فيكون أجركم عظيماً، وتكونوا بني العلي؛ فإنه ينعم على غير الشاكرين والأشرار).

فيظهر من أن إعطاء تلاميذ المسيح لقب بني العلي، يترتب على إحسانهم وإقراضهم بلا رجاء.

٧ - ورد في إنجيل يوحنا ص ٨ من عدد ٣٠ - ٣٦ منسوباً إلى المسيح عليه السلام:

(فقال يسوع لليهود الذين آمنوا به: إنكم إن ثبتتم في كلامي فبالحقيقة تكونون تلاميذي، وتعرفون الحق والحق يحرركم، أجابوه إننا ذرية إبراهيم، ولم نستعبد لأحد قط، كيف تقول أنت: إنكم تصيرون أحراراً؟ أجابهم يسوع: الحق الحق أقول لكم؛ إن كل من يعمل الخطيئة هو عبد للخطيئة، والعبد لا يبقى في البيت إلى الأبد، أما الابن فيبقى إلى الأبد؛ فإن حرركم الابن فبالحقيقة تكونون أحراراً).

فهنا نجد أن المسيح عليه السلام قصد بالابن: الشخص الحر بمعرفة الحق والعمل به، بدليل أنه يقابله بالعبد عبد الخطيئة، وهو من يعمل الخطيئة.

فالابن هو الذي تحرر من الخطيئة، أي لم يعملها مثابراً عليها.

ومن ذلك يتبين العلة في إطلاق لفظ (ابن) على الإنسان البار التقي، هذه العلة هي تحرره من عمل الخطيئة.

فكل من تحرر بالحق علماً وعملاً، هو ابن الله، ويظهر ذلك في بره وتقائه وفعله مشيئة الرب.

علة إطلاق ابن الله على المسيح عليه السلام :

وقد أطلق على المسيح ابن الله وعلة ذلك كما سبق تفصيله هي : أنه يعمل الأعمال التي يرضاها الله ، ويفعل مشيئته ، ويتخلق بصفاته طبقاً للآتي :

١ - ورد في موعظة متى التي يسميها النصارى بإنجيل متى ص ٣ من عدد ١٣ -

: ١٧

(حيثُ جاء يسوع من الجليل إلى الأردن ليتعمد منه، ولكن يوحنا منعه قائلاً: أنا محتاج أن أتعمد منك، وأنت تأتي إليّ، فأجاب يسوع وقال له: اسمح الآن لأنه هكذا يليق بنا أن نكمل كل برّ، حيثُ سمح له، فلما تعمد يسوع صعد للوقت من الماء، وإذا السموات قد انفتحت له، فرأى روح الله نازلاً مثل حمامة وآتياً عليه، وصوت من السموات قائلاً هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت).

٢ - ونظير ذلك في بشارة مرقس ص ١ من عدد ٩ - ١١ :

فكل من متى ومرقس جعل من انفتاح السموات ونزول الروح وإعطاء لقب الابن معلولاً للتعمد الذي هو أفضل أنواع البر.

٣ - ويؤكد هذا النظر قول بولس في رسالته إلى غلاطيه ص ٤ عدد ٦ :

(ثم بما أنكم أبناء الله أرسل الله روح ابنه إلى قلوبكم).

فجعل كونهم أبناء الله، علة لإرسال الروح القدس إلى قلوبهم.

٤ - ويظهر هذا التأكيد بجلاء من أن المسيح هو ابن تشبيهي من قول بولس في

رسالته للبرانيين ص ٣ عدد ٦ :

(وأما المسيح فكابن على بيته)، إذ الكاف حرف تشبيه، أي أنه من هذه الجملة يظهر حرف التشبيه، وبذلك تظهر الحقيقة بهذه الجملة التشبيهية على ما سبق وروده خالياً من حروف التشبيه أو أداة التشبيه.

موقف آريوس على ضوء ما سبق شرحه :

إن آريوس كان أسقفاً في نيقوميديا وهي مدينة قديمة في آسيا الصغرى وتسمى

اليوم (إزميت)، وقيل كان أسقفاً في الإسكندرية، وفي سنة ٣١٢ نادى برأيه بأن المسيح ليس بإله بل هو عبد الله ورسوله ومسيحه، وإن معنى كونه ابناً لله تعالى، أنه بار وتقي يعمل مشيئة الله تعالى.

فهو ابن بالمعنى العام المتحقق في كل من أطلق عليه لفظ ابن ممن تقدم ذكرهم.

هل أطلق لفظ (ابن العلي) على

المسيح فقط أم شاركه فيه غيره؟

لقد شارك غير المسيح في هذا اللقب طبقاً للآتي:

١ — ورد بسفر المزامير مزموّر ٨٢ عدد ٦:

(وبنو العلي كلكم).

٢ — وأطلق على تلاميذ المسيح كما ورد بإنجيل لوقا ص ٦ عدد ٣٥:

(أحبوا أعداءكم، وأحسنوا وأقرضوا، وأنتم لا ترون شيئاً، فيكون أجركم عظيماً، وتكونوا بني العلي)، فلو كان هذا اللفظ يدل على وجود طبيعة لاهوتية في المسيح عليه السلام لشاركه في ذلك هؤلاء الحكام وهؤلاء التلاميذ.

هل أطلق (الابن الحبيب) على المسيح وحده؟

لقد شارك كثيرون المسيح في هذا اللقب طبقاً للآتي:

١ — ورد في سفر التثنية ص ٣٣ عدد ١٢ استكمالاً للبركة التي بارك بها موسى

رجل الله بني إسرائيل قبل موته وذلك عن بنيامين:

(ولبنيامين قال: حبيب الرب يسكن لديه آمناً، يستره طول النهار وبين مسكنه يسكن).

٢ — ورد في سفر دانيال ص ٩ عدد ٢٣ من قول جبريل لدانيال:

(في ابتداء تضرعاتك خرج الأمر، وأنا جئت لأخبرك لأنك أنت محبوب).

٣ — ورد في سفر دانيال ص ١٠ عدد ٩ من قوله أيضاً:

(يا دانيال أيها الرجل المحبوب).

- ٤ — كما ورد في سفر دانيال ص ١٠ عدد ١٩ من قوله أيضاً:
(وقال لي لا تخف أيها الرجل المحبوب سلام لك).
- ٥ — ورد في سفر نحميا ص ١٣ عدد ٢٦ في وصف سليمان:
(وكان محبوباً إلى إلهه).
- ٦ — ورد في سفر صموئيل الثاني ص ١٢ عدد ٢٤ ، ٢٥:
(فولدت ابناً فدعا اسمه سليمان، والرب أحبه وأرسل بيد ناثان النبي، ودعا اسمه — يديديا — من أجل الرب).
ويديديا معناه حبيب الله.
- ٧ — ورد في سفر هوشع ص ١١ عدد ١:
(لما كان إسرائيل غلاماً أحببته ومن مصر دعوت ابني).
- ٨ — ورد في سفر أشعيا ص ٦٣ عدد ٩ عن بني إسرائيل:
(بمحبتته ورأفته فهو افتداهم ورفعهم وحملهم كل الأيام القديمة).
- ٩ — ورد في سفر الأيام الثاني ص ٩ عدد ٨:
(لأن إلهك أحب إسرائيل).
- ١٠ — ورد في سفر ملاخي ص ١ عدد ١ ، ٢:
(وهي كلمة الرب لإسرائيل عن يد ملاخي، أحببتكم، قال الرب: وقتلتم بيم أحببتنا؟ أليس عيسو أخاً ليعقوب، يقول الرب: وأحببت يعقوب وأبغضت عيسو).
- ١١ — ورد في إنجيل يوحنا ص ١٧ عدد ٢٣ عن المسيح نفسه لتلاميذه:
(لأن الآب نفسه يحبكم لأنكم أحببتموني).
- ١٢ — ورد في إنجيل يوحنا ص ١٧ عدد ٢٥ ، ٢٦ عن المسيح أيضاً لتلاميذه:
(أما أنا فعرفتكم، وهؤلاء عرفوا أنك أنت أرسلتني — وعرفتهم اسمك، وسأعرفهم ليكون فيهم الحب الذي أحببتني به).
- ١٣ — ورد في رسالة بولس إلى رومية ص ٥ عدد ٨:
(ولكن الله بيّن محبته لنا).

- ١٤ — ويقول بولس في رسالته لأفسس ص ٢ عدد ٤ :
(الله الذي هو غني في الرحمة من أجل محبته الكثيرة التي أحبنا بها).
١٥ — ورد في رسالة بولس الثانية إلى تسالونيكي ص ٢ عدد ١٦ :
(والله أبونا الذي أحبنا).
١٦ — ورد برسالة يوحنا الأولى ص ٤ عدد ١٩ :
(نحن نحبه لأنه هو أحبنا أولاً).

خلاصة ما تقدّم :

إن بنيامين حبيب الرب، ودانيال وسليمان محبوبان له، وإن الله تعالى أحب إسرائيل، والإسرائيليين الطاهرين والتلاميذ والنصارى المؤمنين بالإيمان الحق، وعليه فليست محبة الله قاصرة على المسيح عليه السلام فقط، بل إن كل الأنبياء والأطهار والبارّين الأخيار محبوبون للرب.

الأسفار أطلقت الابن البكر على

إسرائيل وداوود دون المسيح :

يقول النصارى إن مما تميز به المسيح عليه السلام أن أطلق عليه لفظ الابن الوحيد، كما هو وارد في إنجيل يوحنا ص ٢ عدد ١٨، ص ٣ عدد ١٦، وفي إنجيل مرقس ص ١٢ عدد ٦.

ولكن غيره أيضاً امتاز بوصف آخر ليس أقل منه في الأهمية وهو وصف (الابن البكر)، فقد أطلق على إسرائيل عامة ثم على داوود خاصة طبقاً للآتي :

- ١ — ورد في سفر الخروج ص ٤ عدد ٢٢، ٢٣ :
(هكذا يقول الرب : إسرائيل ابني البكر، فقلت لك أطلق ابني ليعبدني).
٢ — ورد في سفر أرميا ص ٢١ عدد ٩ عن الرب أيضاً :
(لأنني صرت لإسرائيل أباً وأفرايم هو بكري).

وأفرايم هو ثاني أولاد يوسف عليه السلام، كما أنه يطلق على سبط من أسباط بني إسرائيل.

٣ - ورد في مزمور ٨٩ عدد ٢٦، ٢٧ عن داوود:
(هو يدعوني: أنت أبي وإلهي وصخرة خلاصي. وأنا أيضاً أجعله بكرًا فوق ملوك الأرض علياً).

هل سرَّ الربِّ بالمسيح فقط

أم شاركه في السرور غيره؟

كما سرَّ الربِّ بالمسيح كما ورد في إنجيل متى ص ٣ عدد ١٧ - وكما ورد في إنجيل مرقس ص ١ عدد ١١ وإنجيل لوقا ص ٣ عدد ٢٢؛ سر بسليمان عليه السلام طبقاً للآتي:

١ - ورد في سفر الأيام الثاني ص ٩ عدد ٨:
(ليكن مباركاً الرب إلهك الذي سرَّ بك، وجعلك على كرسيه ملكاً).

٢ - ورد في مزمور ١٨ عدد ١٨، ١٩:
(وكان الرب سندي، أخرجني إلى الرحب خلصني، لأنه سرَّ بي).

٣ - ورد في سفر الأيام الأولى ص ٢٨ عدد ٤:
(اختار الرب يهوذا رئيساً، ومن بني يهوذا بيت أبي، ومن بني أبي سرَّ بي فملكني على إسرائيل)، ويهوذا هو أحد أسباط يعقوب عليه السلام.

هل وصف المسيح وحده بكونه في حضن الآب

(أي الله) كما ورد في إنجيل يوحنا ص ١ عدد ١٨؟

شارك المسيح كثيرون في هذا الوصف طبقاً للآتي:

١ - ورد في سفر مراثي أرميا ص ٢ عدد ٢٢ قوله عن الإسرائيليين عندما وقعوا في الأسر والقتل:

(الذين حضنتهم وربيتهم أفناهم عدوي).

٢ — ورد في سفر التثنية عن يعقوب قوله لبنيامين:

(حبيب الرب يسكن لديه آمناً، يستره طول النهار، وبين منكبيه يسكن).

ولا جدال في أن الساكن بين المنكبين أقوى وأعلى من الجالس في الحضن، ومع هذا فكل من الوضعين ليس على حقيقته المادية بل هو كناية عن القرب الشديد.

وهذا له نظير في اعتقاد اليهود من أن حظ كل يهودي مؤمن هو الحلول في (حضن إبراهيم) في الآخرة، أي القرب من إبراهيم والحلول في الفردوس.

وهذا التعبير المجازي قريب منه، ورد عن المسيح في إنجيل لوقا ص ١٦ عدد ٢٣

وهو:

(ورأى إبراهيم من بعيد ولعازر في حضنه).

هل كان المسيح عليه السلام مساوياً لله، كما يزعم النصارى؟

يزعم النصارى بأن المسيح ابن مساوٍ للآب (أي الله)، ويستدلون على ذلك بما ورد في إنجيل يوحنا ص ٥ عدد ١٦، ١٧، ١٨ ونصه:

(ولهذا كان اليهود يطردون يسوع، ويطلبون أن يقتلوه، لأنه عمل هذا في سبت فأجابهم يسوع: أبي يعمل حتى الآن وأنا أعمل، فمن أجل هذا كان اليهود يطلبون أكثر أن يقتلوه، لأنه لم ينقض السبت فقط، بل قال أيضاً: إن الله أبوه مُعَادِلًا نَفْسَهُ بالله).

والجواب على ذلك:

إنه ليس في هذا النص ما يصرح أو يرمز أن المسيح (ابن الله) بمعنى لا يصدق على غيره، لأن المعنى للنص السابق هو: أن الله يعمل أعمال الرحمة — كغيرها — في يوم السبت، فأنا لا مانع لي من أن أعمل فيه بعض أعمال الرحمة تخلقاً بصفة أبي الطاهرة الكريمة، فهل من شرط أبناء الله غير المسيح أن لا يعملوا أعمال الرحمة يوم السبت؟

وأما فهم اليهود من عبارة المسيح أنه يدَّعي المساواة للآب فليس هذا بصواب، إذ العبارة لا يفهم منها دعوى المساواة لله، بل يفهم منها خطأ فهم اليهود. والمسيح ما دام غلَّطهم في فهمهم ووبخهم عليه.

* * *

وهناك نصوص توضح ذلك بجلاء:

١ - ورد في إنجيل يوحنا ص ٥ عدد ١٩ على لسان المسيح عليه السلام:
(فأجاب يسوع وقال لهم: الحق الحق أقول لكم، لا يقدر الابن أن يعمل من نفسه شيئاً إلا ما ينظر الآب يعمل، لأنه مهما عمل ذلك فهذا يعملُه الابن كذلك).
٢ - ورد في إنجيل يوحنا ص ١٠ عدد ١٥ على لسان المسيح:
(الأعمال التي أنا أعملها باسم أبي هي تشهد لي)، (فالأعمال التي يقوم بها هي باسم الآب أي باسم الله، فلا مساواة حيثنَّذ، لأن كلمة أبي تعتبر قيِّداً في كل أعمال المسيح العجيبة).

وقوله: (تشهد لي) يريد بها أنها تشهد له على الرسالة من الله فقط.

٣ - ويؤكد ذلك ما ورد في إنجيل يوحنا ص ٥ عدد ٣٦ قول المسيح:
(هذه الأعمال بعينها التي أنا أعملها هي تشهد لي أن الآب قد أرسلني).
أي تشهد له بالرسالة فقط.

٤ - ورد في إنجيل يوحنا ص ٥ عدد ٣٠ وصفاً للمسيح:
(أنا لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئاً، كما أسمع أدين ودينونتي عادلة لأنني لا أطلب مشييتي بل مشيئة الآب الذي أرسلني).

٥ - وقد ورد في إنجيل مرقس ص ٦ عدد ٥ وصفاً للمسيح:
(ولم يقدر أن يصنع هناك ولا قوة واحدة).

وهذا يثبت عجز المسيح في وطنه أن يفعل شيئاً مما استطاعه في غير وطنه.

٦ - ورد في إنجيل مرقس ص ٧ عدد ٢٤ وصفاً للمسيح:
(ودخل بيتاً وهو يريد أن لا يعلم أحد فلم يقدر أن يختفي).

ففي الفقرة السابقة يتضح نسبة العجز للمسيح، الأمر الذي ينفي عنه الإرادة والقدرة الإلهيتين.

٧ - وورد في إنجيل متى ص ٢٣ عدد ٣٧ وإنجيل لوقا ص ١٣ عدد ٢٤:
(يا أورشليم يا أورشليم، يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها، كم مرة أردت أن أجمع أولادك، كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحها ولم تريدوا).

ففي هذا النص: المسيح عليه السلام أراد، ولكن قومه من اليهود لم يريدوا، ومن المسلّم به أن من تغلب أرادته المخلوقين إرادته ليس بإله لأنه يتصف بالعجز.

ثانياً: لفظ آب

ادعاء النصارى بأن الله آب للمسيح فقط:

إن لفظ آب أطلق في الأسفار بمعانٍ شتى:

١ — فقد أطلق لقب آب على الوزير الأعظم:

ففي سفر التكوين ص ٤٥ عدد ٨ على لسان يوسف عليه السلام:
(وهو قد جعلني أباً لفرعون).

فعند الملوك الشرقيين كان يكتى الصدر الأعظم أو وزير الملك الأول بأبي الملك.

* * *

٢ — أطلق لفظ آب على الرئيس الديني والعالمي:

ففي سفر القضاة ص ١٧ عدد ١٠:

(فقال بيشا أقم عندي، وكن لي أباً وكاهناً وأنا أعطيك عشرة شواقل)^(١).

وهو ما عليه اصطلاح النصارى الشائع من قديم حتى الآن، فيقال لكل رئيس ديني (أبونا).

* * *

٣ — وقد يطلق لفظ آب ويراد به الرئيس العسكري:

ورد في سفر الملوك الثاني ص ٥ عدد ١٣:

(فتقدم عبده وكلموه، وقالوا يا أبانا لو قال لك النبي أمراً عظيماً أما كنت تعمله،

فكم بالحريّ إذا قال لك اغتسل واطهر).

وهذا من كلام عبید نعمان قائد جيش ملك آرام^(٢) لذلك القائد، وكان مصاباً بالبرص.

(١) شواقل: جمع شافل وهو وحدة الأوزان عند اليهود ويعادل ١٥ جراماً، وكان يستعمل لوزن الذهب والفضة.

(٢) آرام: هي مدينة دمشق.

٤ — ولقد أطلق على الله أنه أب لكل إسرائيلي:

(أ) فقد ورد في سفر أشعيا ص ٦٤ عدد ٨ حيث قال أشعيا:

(وأنت يا رب أنت أبونا نحن الطين وأنت جابلنا، وكلنا عمل يديك).

(ب) كما ورد في سفر التثنية ص ٣٢ عدد ٦ على لسان موسى عليه السلام خطاباً

لإسرائيل:

(أليس هو أباك ومقتنيك؟ عملك وأنشأك).

(ج) كما ورد في سفر أشعيا ص ٦٣ عدد ١٦ على لسان أشعيا:

(فإنك أنت أبونا وإن لم يعرفنا إبراهيم، وإن لم يعلم بنا إسرائيل، أنت يا رب أبونا

ولينا منذ الأبد اسمك).

(د) جاء في سفر أرميا ص ٣١ عدد ٩ على لسان الله:

(لأنني صرت لإسرائيل أباً).

(هـ) وجاء في سفر الملوك الأول عدد ٦ على لسان الرب:

(الابن يكرم أباه، والعبد يكرم سيده، فإن كنت أنا أباً فأين كرامتي، وإن كنت سيداً

فأين هييتي؟ قال لكم رب الجنود).

* * *

٥ — وقد أطلق على الله في الأسفار أنه أب لداوود وسليمان:

(أ) فقد ورد في مزمو ٨٩ عدد ٢٦ قول الله لداوود:

(هو يدعوني أبي، أنت إلهي وصخرة خلاصي).

(ب) وورد في سفر صموئيل الثاني ص ٧ عدد ١٢، ١٣، ١٤:

(أقيم بعدك نسلك الذي يخرج من أحشائك وأثبت مملكته، هو يبني بيتاً لاسمي،

وأنا أثبت كرسي مملكته إلى الأبد، أنا أكون له أباً، وهو يكون لي ابناً).

(ج) ورد في سفر الأيام الأول ص ١٧ عدد ١٣ في وصف سليمان عليه السلام:

(أنا أكون له أباً، وهو يكون لي ابناً).

(د) ورد في سفر الأيام الأول ص ٢٢ عدد ١٠ عن سليمان أيضاً:
(هو يبني بيتاً لاسمي وهو يكون لي ابناً وأنا له أباً).

* * *

٦ — أطلق على الله في أسفار النصارى أنه أب للمؤمنين منهم:

(أ) ورد في إنجيل متى ص ٢٣ عدد ٩ ، ١٠ عن المسيح عليه السلام:
(ولا تدعو لكم أباً على الأرض ، لأن أباكم واحد الذي في السموات ، ولا تدعو معلمين لأن معلمكم واحد: المسيح).

(ب) ورد في إنجيل لوقا ص ٦ عدد ٣٦ عن المسيح عليه السلام:
(فكونوا رحماء كما أن أباكم أيضاً رحيم) ويقصد الله .

(ج) ورد في إنجيل لوقا ص ١٢ عدد ٢٩ — ٣٢ عن المسيح أيضاً:
(فلا تطلبوا أنتم ما تأكلون وما تشربون ، ولا تقلقوا ، فإن هذه كلها تطلبها أمم العالم ، وأما أنتم فأبوكم يعلم أنكم تحتاجون إلى هذه ، بل اطلبوا ملكوت الله ، وهذه كلها تراد لكم ، لا تخف أيها القطيع الصغير ، لأن أباكم قد سُرَّ أن يعطيكم الملكوت).

(د) ورد في إنجيل متى ص ٦ عدد ١ :
(احترزوا من أن تضعوا صدقاتكم قدام الناس لكي ينظروكم ، وإلا فليس لكم أجر عند أبيكم الذي في السموات).

(هـ) ويقول في إنجيل متى ص ٦ عدد ٣ ، ٤ :
(وأما أنت فمتى صنعت صدقة فلا تعرف شمالك ، ما تفعل يمينك ، لكي تكون صدقتك في الخفاء ، فأبوك الذي يرى في الخفاء هو يجازيك علانية).

(و) وورد في إنجيل متى ص ٥ عدد ١٦ :
(فليضيء نوركم هكذا قدام الناس لكي يروا أعمالكم الحسنة ، ويمجدوا أباكم الذي في السموات).

(ز) وورد في إنجيل متى ص ٥ عدد ٤٨ :
(فكونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذي في السموات كامل).

(ح) ورد في إنجيل متى ص ٦ عدد ٧ - ٩ :

(وحيثما تصلون لا تكررُوا الكلام باطلاً، كالأمم فإنهم يظنون أنه بكثرة كلامهم يستجاب لهم فلا تشبَّهوا بهم، لأن أباكم يعلم ما تحتاجون إليه، قبل أن تسألوا فصلُّوا أنتم هكذا: أبانا الذي في السموات ليتقدس اسمك...) إلخ ما جاء في هذه الصلاة.

(ط) ورد في إنجيل متى ص ٦ عدد ١٤، ١٥ :

(فأنتي غفرتِ للناس زلاتهم يغفر لكم أيضاً أبوك السماوي، وإن لم تغفروا للناس زلاتهم لا يغفر لكم أبوك أيضاً زلاتكم).

(ي) ورد في إنجيل متى ص ٦ عدد ١٧، ١٨ :

(وأما أنت فمتى صمت فادهن رأسك، واغسل وجهك لكي لا تظهر للناس صائماً، بل لأبيك الذي في الخفاء، فأبوك الذي يرى في الخفاء يجازيك علانية).

والنتيجة :

من ذلك نتبيَّن أن المسيح عليه السلام قد سَمَّى الله سبحانه وتعالى أباً للنصارى الذين كانوا معاصرين له وبمعيته.

وقد تبع بولس المسيح في رسائله فقال :

(أ) في رسالة بولس الأولى إلى تسالونيكي ص ٣ عدد ١١ يقول :
(والله نفسه أبونا).

(ب) في رسالة بولس الثانية إلى تسالونيكي ص ٢ عدد ١٦ يقول :
(والله أبونا الذي أحياناً).

* * *

٧ - أطلقت بعض الأسفار على الله أنه أب اليتامى :

فقد ورد في مزمو ٦٨ عدد ٥ على لسان داوود عليه السلام :
(أبو اليتامى وقاضي الأرمال الله في مسكن قدسه).

* * *

٨ — وأطلقت الأسفار على الله أنه أب لكل عبد بارّ يفعل مشيئة الله :

(أ) يقول بولس في رسالته إلى أفسس ص ٤ عدد ٦ :

(إله وأب واحد لكل الذي على الكل وبالكل وفي كلكم).

(ب) جاء في إنجيل متى ص ٥ عدد ٤٤ ، ٤٥ على لسان المسيح عليه السلام :

(أحبوا أعداءكم، باركوا لاعنيكم، أحسنوا إلى مبغضيك، وصلّوا لأجل الذين

يسيئون إليكم ويطردونكم لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السموات).

(ج) ورد في إنجيل يوحنا ص ٨ عدد ٤١ ، ٤٢ على لسان المسيح لليهود :

(أنتم تعملون أعمال أبيكم، فقالوا له: إنما لم نولد من زنى، لنا أب واحد،

وهو الله. فقال لهم يسوع: لو كان الله أباكم لكتنم تحبونني).

* * *

٩ — والمسيح عليه السلام يسوي بينه وبين أتباعه النصارى وقتل في أبوة الله له

ولهم، وفي كونه وإياهم عباداً لله تعالى.

فقد ورد في إنجيل يوحنا ص ٢٠ عدد ١٧ على لسان المسيح عند آخر وجود له

على الأرض قوله :

(إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم).

فقد سوى بين نفسه وبين أتباعه في شيئين هما: في أبوة الله وله ولهم على السواء،

وفي كونه وإياهم مألوهين لله عز وجل.

والقول بغير ذلك هو الانحراف الذي طرأ على النصرانية بما يخالف قول المسيح

عليه السلام وتعاليمه.

* * *

١٠ — ورد في أسفار النصارى إطلاق إبليس على أنه أب لكل شرير.

(أ) فقد ورد في إنجيل يوحنا ص ٨ عدد ٤٤ عن المسيح عليه السلام وهو

يخاطب اليهود :

(أنتم من أب هو إبليس، وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا).

(ب) كما ورد في إنجيل متى ص ١٣ عدد ٣٨:
(الزروع الجيد هو بنو الملكوت، والزّوَان هم بنو الشرير).

ثالثاً: لفظ ولادة

ادعاء النصارى بامتياز المسيح بولادته من الله :

إن هذا الادعاء ليس له أساس، لأن الأسفار اصطلحت على أن كل مؤمن تقى هو مولود من الله، أو من الروح القدس، أو من فوق، أو من السماء بالمعنى اللائق بذلك. .
ولندلل على ذلك بالأمثلة الآتية :

(أ) عن الله :

١ - ورد في سفر التثنية إصحاح ١٤ عدد ١ على لسان موسى عليه السلام:
(أنتم أولاد الرب إلهكم).

٢ - ورد في مزمور ٢ عدد ٧ قوله عن الله لداوود عليه السلام:
(أنا اليوم ولدتك).

٣ - ورد في رسالة يعقوب ص ١ عدد ١٧، ١٨ :
(الذي ليس عنده تغيير، ولا ظل لأنه لا يدور، وهو قد شاء بكلمة الحق لكي نكون باكورة من خلايقه).

٤ - ورد برسالة بطرس الأول ص ١ عدد ٣:
(مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح، الذي حسب رحمته الكثيرة ولدنا ثانية لرجاء حي).

٥ - ورد برسالة يوحنا الأولى ص ٤ عدد ٧:
(أيها الأحباء لنحب بعضنا بعضاً لأن المحبة هي من الله، وكل من يحب فقد وُلد من الله).

٦ - ورد في رسالة يوحنا الأولى ص ٥ عدد ١:
(كل من يؤمن أن يسوع هو المسيح فقد وُلد من الله).

٧ - ورد في رسالة يوحنا الأولى ص ٥ عدد ٤ :

(لأن كل من وُلِدَ من الله يغلب العالم، وهذه الغلبة التي تغلب العالم إيماننا).

٨ - ورد في رسالة يوحنا الأولى ص ٥ عدد ١٨ :

(نعم إن كل من ولد من الله لا يخطيء، بل المولود من الله يحفظ نفسه والشرير لا يمسه).

٩ - ورد في رسالة يوحنا الأولى ص ٣ عدد ٨ - ١٠ :

(من يفعل الخطية فهو من إبليس، لأن إبليس من البدء يخطيء، لأجل هذا أظهر ابن الله لينقض أعمال إبليس، كل من هو مولود من الله لا يفعل خطية، لأن زرعه يثبت فيه، ولا يستطيع أن يخطيء لأنه مولود من الله، بهذا أولاد الله ظاهرون).

١٠ - ورد بإنجيل يوحنا ص ١ عدد ١٢، ١٣ :

(وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله، أي المؤمنين به الذين وُلِدُوا ليس من دم ولا من مشيئة جسد، ولا من مشيئة رجل بل من الله).

والخلاصة:

من كل ما تقدم يتبين أن التولد من الله مجازي وعام، يشترك فيه المسيح عليه السلام وغيره بالمعنى اللائق بعظمة الله سبحانه.

(ب) التولّد عن الروح القدس :

ورد في إنجيل يوحنا ص ٣ عدد ٤ - ٦ على لسان المسيح عليه السلام :

(إن كل أحد لا يولد من السماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله، المولود من الجسد جَسَدٌ هو، والمولود من الروح هو روح، لا تعجب أنني قلت لك ينبغي أن تولدوا من فوق، الريح تهب حيث تشاء وتسمع صوتها، ولكن لا تعلم من أين تأتي ولا إلى أين تذهب، هكذا كل من ولد من الروح)، أي من الروح القدس.

(ج) المتولّد من فوق :

اصطلحت الأسفار على أن كل مؤمن بار هو مولود من فوق كالمسيح بلا أي فرق،

فهذا ليس قاصراً على المسيح، بل هو متحقق في كل أتباعه المؤمنين، وسائر عباد الله البارين الكاملين طبقاً للآتي:

١ - ورد في إنجيل يوحنا ص ٣ عدد ٣:

(الحق الحق أقول لك إن كان أحد لا يولد من فوق لا يقدر أن يرى ملكوت الله).

٢ - ورد في إنجيل يوحنا ص ٣ عدد ٧:

(لا تتعجب أنى قلت ينبغي أن تولدوا من فوق).

والخلاصة:

فالولادة من فوق هي الولادة الجديدة الروحية بحيث يتغير قلب الإنسان الخاطيء تغيراً عظيماً كاملاً مستمراً، كأنه ولد ثانية ويحدث ذلك عند توبته وإيمانه، وهذه الولادة ليست خصوصية للمسيح فقط، وهذا المعنى هو عمومي، وقد حصل لكل أتباع المسيح المؤمنين الحقيقيين، كما حصل لأتباع غيره من الأنبياء الكرام.

(د) الإتيان من السماء:

(الذي يأتي من فوق هو فوق الجميع).

(الذي يأتي من السماء هو فوق الجميع).

هل المسيح أتى حقيقة من السماء بخلاف غيره من الأنبياء وأصحاب الشرائع؟

والحقيقة: أن المقصود بما ورد في إنجيل يوحنا ص ٣ عدد ٣١ أن المسيح

ذو شريعة إلهية، أي شريعة سماوية ولندلل على ذلك بالآتي:

١ - ورد بإنجيل متى ص ١٦ عدد ١:

(فسألوه أن يريهم آية من السماء).

٢ - ورد بإنجيل متى ص ٢١ عدد ٢٥، ٢٦:

(معمودية يوحنا من أين كانت من السماء أم من الناس؟ ففكروا في أنفسهم قائلين

إن قلنا من السماء، يقول لنا: فلماذا لم تؤمنوا به؟ وإن قلنا: من الناس، نخاف من

الشعب، لأن يوحنا عند الجميع مثل نبي).

٣ — ورد بإنجيل يوحنا ص ٣ عدد ٢٧ على لسان يوحنا المعمدان:

(لا يقدر إنسان أن يأخذ شيئاً إن لم يكن قد أعطي من السماء)، وقد ذكره يوحنا عن المسيح عليه السلام، وهو ما يوضح المعنى جلياً بأن الإتيان من السماء: هو الإعطاء من السماء، ويفسر جميع ما تقدم بأن الإتيان من السماء هو إتيان المواهب لا إتيان الذات.

٤ — ورد في إنجيل يوحنا ص ٨ عدد ٤٢:

(إني خرجت من قبل الله، وأتيت لأنني لم آت من نفسي بل ذلك الذي أرسلني).
فالمعنى كما فسرهُ السيد المسيح نفسه في هذه الفقرة أن الله هو الذي أرسله بمواهب من السماء.

* * *

الولادة من السماء:

المقصود بها في الأسفار هي هبة الإيمان وتجديد القلب من الله بعيداً عن الخطيئة والأمثلة الآتية توضح ذلك:

١ — ورد في إنجيل يوحنا ص ١ عدد ١٢:

(وأما كل الذين قبلوه — أي قبلوا المسيح — فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله، أي المؤمنين باسمه).

* * *

٢ — ورد في إنجيل يوحنا ص ١ عدد ١٣ موضحاً ذلك التفسير بقوله:

(الذين ولدوا ليس من دم، ولا من مشيئة جسد، ولا من مشيئة رجل، بل من الله).

* * *

٣ — ورد برسالة بطرس الأولى ص ١ عدد ٢٣:

(مولودين ثانية لا من زرع يفنى، بل مما لا يفنى، بكلمة الله الحية الباقية إلى الأبد).

* * *

٤ - ورد برسالة يوحنا الأولى ص ٢ عدد ٢٩ في وصف المسيح عليه السلام:
(إن علمتم أنه بارّ فاعلموا أن كل من يصنع البر مولود منه).
أي أنّ من يعمل الخير فهو متجدد بالقداسة بواسطة المسيح.

* * *

٥ - ورد برسالة يوحنا الأولى ص ٢ عدد ٩، ١٠:
(كل من هو مولود من الله لا يفعل الخطيئة لأن زرعه يثبت فيه، ولا يستطيع أن يخطيء لأنه مولود من الله، بهذا أولاد الله طاهرون.

* * *

٦ - ورد برؤيا يوحنا ص ٢١ عدد ٧:
(من يغلب يرث كل شيء، وأكون له إلهاً، وهو يكون لي ابناً).
والغلبة هي الإيمان كما يقول يوحنا نفسه في رسالته الأولى ص ٥ عدد ١ - ٤:
(كل من يؤمن أن يسوع هو المسيح فقد ولد من الله، وكل من يحب الوالد يحب المولود منه أيضاً، بهذا نعرف أننا نحب أولاد الله إذا أحببنا الله وحفظنا وصاياه، فإن هذه هي محبة الله، أن يحفظ وصاياه، ووصاياه ليست ثقيلة، لأن كل من ولد من الله يغلب العالم، وهذه هي الغلبة التي تغلب العالم: إيماننا).
وغني عن البيان ومما لا جدال فيه أن الألفاظ الواردة في الأسفار المقدسة يفسر بعضها بعضاً، وهو أحسن التفسير كما قيل: (وخير ما فسرته بالوارد) وعليه فقد ورد في سفر مرقس: أنه قال عن المسيح ص ١٥ عدد ٣٩:
(ولما رأى قائد المائة الواقف مقابله أنه صرخ هكذا وأسلم الروح، قال: حقاً كان هذا الإنسان ابن الله).

فهو يريد بلفظ ابن الله أنه بارّ كما قال لوقا في إنجيله ص ٢٣ عدد ٤٧:
(فلما رأى قائد المائة ما كان، مجّد الله قائلاً: بالحقيقة كان هذا الإنسان باراً).

والخلاصة:

من كل ما تقدم يتبين أن معنى ابن الله - أو ولد من الله - أنهما وصفان لكل إنسان يقبل المسيح عليه السلام ويؤمن به.

فلفظ الابن الوارد في الأسفار وصفاً للمسيح هو من هذا القبيل، فليس معنى بنوته لله سوى أنه متحرر من الخطيئة، وأنه بارّ لا يفعل إلاّ مشيئة الله تعالى، وأنه متخلق بأخلاق الله محب لعباده محوط بعناية الله وعطفه ومحبه اللاتئة بذات الله وجلاله.

* * *

٧ - ولقد ورد لفظ ابن في نسب المسيح عدة مرات في الأناجيل، ولا بد من حمله على المجاز عصمة لنسبه وبراءة لوالدته طبقاً للآتي:

(أ) ورد في إنجيل لوقا ص ٢ عدد ٢٧:

(عندما دخل بالصبي يسوع أبواه ليصنعا له حسب عادة الناموس).

(ب) ورد بإنجيل لوقا ص ٢ عدد ٤١:

(وكان أبواه يذهبان كل سنة إلى أورشليم).

مع أن الحقيقة هو أن المسيح ابن مريم فقط، ولم يكن ابن يوسف رجل مريم، وهذا هو ما ورد بإنجيل متى ص ١ عدد ١٦:

(ويعقوب ولد يوسف رجل مريم الذي ولد منها يسوع يدعى المسيح).

(ج) ورد بإنجيل لوقا ص ٣ عدد ٢٣:

(ولما ابتدأ يسوع كان له نحو ثلاثين سنة، وهو على ما كان يظن ابن يوسف بن هالي... إلخ، والحقيقة أنه لم يكن ولد يوسف طبقاً لما ورد بإنجيل متى ص ١ عدد ١٦ السالف ذكره.

(د) ورد بإنجيل لوقا ص ٣ عدد ٣٨ عن آدم في نسب المسيح:

(ابن أنوش بن شيث بن آدم ابن الله).

إذ الحقيقة أن آدم ابن التراب كما ورد في سفر التكوين ص ٢ عدد ٧:
(وجبل الرب آدم تراباً من الأرض).

* * *

٨ - ورد برسالة يوحنا الأولى ص ٥ عدد ١ :

(أيها الأحباء لنحب بعضنا بعضاً لأن المحبة هي من الله ، وكل من يحب فقد وُلِد من الله).

فقد فسر يوحنا هنا الولادة من الله بأنها محبة الناس بعضهم بعضاً.

* * *

٩ - ورد برسالة يوحنا الأولى ص ٥ عدد ١ :

(كل من يؤمن أن يسوع هو المسيح فقد وُلِد من الله).

وهنا فسر الولادة من الله بأنها الإيمان بالمسيح.

* * *

١٠ - ورد برسالة يوحنا الأولى ص ٣ عدد ٩ :

(كل من هو مولود من الله لا يفعل الخطيئة لأن زرعهُ يثبت فيه ولا يستطيع أن يخطيء، لأنه مولود من الله).

وهنا فسر الولادة من الله بأنها عدم فعل الخطيئة.

هذه الولادة يسميها النصارى بأنها الميلاد الثاني، وتجديد الروح القدس.

(أ) فقد ورد في رسالة بولس إلى تيطس ص ٣ عدد ٤ ، ٥ :

(ولكن حين ظهر لطف مخلصنا الله وإحسانه، لا بأعمال في برّ عملناها نحن بل بمقتضى رحمته خلصنا بغسل الميلاد الثاني، وتجديد الروح القدس).

(ب) ورد برسالة يعقوب ص ١ عدد ١٨ :

(شاء فولدنا بكلمة الحق لكي نكوّن باكورة من خلائِقِهِ).

(ج) ورد برسالة يوحنا الأولى ص ١ عدد ١٨ :

(نعلم أن كل من وُلِد من الله لا يخطيء، بل المولود من الله يحفظ نفسه والشرير لا يمسّه).

فهنا سماها يوحنا الولادة من الله.

(د) ورد برسالة بولس الثانية إلى أهل كورنثوس ص ٥ عدد ١٧ :
(إذا كان أحد في المسيح فهو خليفة جديدة).
فهنا سماها بولس بالخليفة الجديدة.

ونظيره:

مما ورد برسالة بولس إلى أهل غلاطية ص ٦ عدد ١٥ :
(لأنه في المسيح يسوع، ليس الختان ينفع شيئاً، ولا الغرلة، بل الخليفة الجديدة).

(هـ) ورد بإنجيل يوحنا ص ٣ عدد ٣ :
(أجاب يسوع وقال له: الحق الحق أقول لك إن كان أحد لا يولد من فوق لا يقدر أن يرى ملكوت الله).
فهنا سماها يوحنا بالولادة من فوق.

رابعاً: كون الله أب للأطهار في الكتاب المقدس

معنى هذا هو تخلق هؤلاء الأطهار بصفاته مثال ذلك:

١ - ما ورد بإنجيل يوحنا ص ٨ عدد ٣٨ - ٤٤ من قول المسيح عليه السلام لليهود:

(أنا أتكلّم بما رأيتم عند أبي، وأنتم تعملون ما رأيتم عند أبيكم، أجابوا وقالوا له: أبونا هو إبراهيم، قال لهم يسوع: لو كنتم أولاد إبراهيم لكنتم تعملون أعمال إبراهيم، ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلوني وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذي سمعته من الله، هذا لم يعمله إبراهيم أنتم تعملون أعمال أبيكم، فقالوا له: إننا لم نولد من زنى، لنا أب واحد هو الله، فقال لهم يسوع: لو كان الله أباكم لكنتم تحبونني، لأنني خرجت من قبل الله وأتيت، لأنني لم آت من نفسي بل ذاك أرسلني لماذا لا تفهمون كلامي؟ لأنكم لا تقدرون أن تسمعوا قلبي، أنتم من أب هو إبليس وشهوات أبيكم تريدون أن تعلموا).

٢ - ورد بإنجيل متى ص ٥ عدد ٤٤ ، ٤٥ :

(أحبوا أعداءكم، باركوا لاعنيكم، أحسنوا إلى مبغضيك، وصلّوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم، لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السموات).

والنتيجة :

من كل ما تقدم يتبين أن هذه الأخلاق الحسنة المشار إليها فيما سبق، وهي الحب والمباركة والإحسان والصلاة هي علة الأبوة لله، لأنه ما لم تتحقق الأبوة لا تتحقق البنوة، وكل ذلك بالمعنى المجازي الذي يليق بجلال الله سبحانه وتعالى.

خامساً: معنى كون إبليس أباً للأشرار

معنى ذلك هو فعل هؤلاء الأشرار للخطيئة والشهوات.

١ - فقد ورد في إنجيل يوحنا ص ٨ عدد ٤٤ خطاباً من المسيح لليهود:

(أنتم من أب هو إبليس وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا).

٢ - ورد في رسالة يوحنا الأولى ص ٣ عدد ٨:

(من يفعل الخطية فهو من إبليس، لأن إبليس من البدء يخطيء).

والنتيجة :

من كل ما تقدم يتبين أن الأخلاق السيئة وهي فعل الشهوات، وفعل الخطايا، وهي علة أبوة إبليس لهؤلاء الأشرار.

من تشبيهات واستعارات الكتاب المقدس :

اشتمل الكتاب المقدس على تشبيهات واستعارات غريبة للإعراب عن النسبة التي بين الله وبين شعبه، وتقريب الحقائق الإلهية للعقول بالصور المحسوسة المشاهدة طبقاً للآتي :

١ - فمثلاً سَمِيَ ذاته الكريمة بغلاً، وتارة زوجاً.

٢ - وسَمِيَ أورشليم زوجة.

٣ - وسَمِيَ الشعب الإسرائيلي الناشئ فيها أولاداً.

٤ - ثم إذا كان هؤلاء الأولاد موحدين لا يشركون معه غيره سماهم أولاده.

٥ - وإذا كانوا مشركين سماهم أولاد زنى، ويريد من الزنى الإشراف، كما يسمي أورشليم زانية لأنها نكحت بعلًا غير بعلها، وربما غضب على تلك الزوجة فطلقها، والأمثلة على ذلك الآتي:

١ - ورد في سفر أشعيا ص ٥٤ عدد ١ - ٦:

(ترنمي أيتها العاقر التي لم تلد، أشيدي بالترنم أيتها التي لم تمخض لأن بني المستوحشة أكثر من بني ذات البعل، قال الرب: فإنك تنسين خزي صباك، وعار ترملك لا تذكرينه بعد، لأن بعلك هو صانعك، رب الجنود اسمه، ووليك قدوس إسرائيل، إله كل الأرض يدعى، لأنه كامرأة مهجورة ومحزونة الروح دعاك الرب، وكزوجة الصبا إذا رذلت قال إلهك).

٢ - ورد بسفر حزقيال ص ١٦ عدد ١ - ٢٣:

(وكانت إليّ كلمة الرب قائلة يا ابن آدم، عرف أورشليم برجاستها، وقل هكذا... جعلتك ربوة كنبات الحقل، فربوت وكبرت وبلغت زينة الأزيان، فنهت ثدياك ونبت شعرك، وقد كنت عريانة وعارية فمررت بك ورأيتك، وإذا زمنك زمن الحب، فبسطت ذيلي عليك وستر عورتك، وحلفت لك ودخلت معك في عهد، يقول السيد الرب فصرت لي...).

فاتكلت على جمالك وزنيت على اسمك، وسكبت زناك على كل عابر، فكان له، وأخذت من ثيابك وصنعت لنفسك مرتفعات موشاة وزنيت عليها أمر لم يأت ولم يكن، وأخذت أمتعة زيتتك من ذهبي ومن فضتي التي أعطيتك، وصنعت لنفسك صور ذكور وزنيت بها...).

أخذت بنيك وبناتك الذين ولدتهم، وذبحتهم لها طعاماً، أهو قليل من زناك أنك ذبحت بني وجعلتهم يجوزون في النار لها، وفي كل رجاستك وزناك لم تذكر أيام صباك إذ كنت عريانة وعارية وكنت مدوسة بدمك وكان بعد كل شرك، ويل ويل لك يقول السيد الرب).

* * *

٣ — ورد بسفر ملاخي ص ٢ عدد ١١ :
(لأن يهوذا قد نجس قدس الرب الذي أحبه — وتزوّج بنت إله غريب).

* * *

٤ — ورد بسفر أشعيا ص ٥٠ عدد ١ قول الرب :
(ومن أجل ذنوبكم طلقت أمكم).

الخلاصة :

١ — إنه لا يمكن حمل مجمل تلك الأقوال السابقة على ظاهرها، بل هي على طريق التشبيه كما قال مفسرو اليهودية والنصرانية.

٢ — لذلك كانت تعبيرات الكتاب المقدس بالآب والابن والولادة لا تحمل على ظاهرها.

سادساً: تفسير الأبوة والبنوة عند النصارى حالياً

خرج رؤساء الملة النصرانية بتفسير جديد لهذه الألفاظ، فقد فسر آباء الكنيسة معنى الأبوة والبنوة بمعنى خصوصي للمسيح بعيد كل البعد عن المعاني المجازية السابق شرحها وإيضاحها طبقاً لما قررته الأسفار المقدسة حسب الآتي :

(أ) فقد فسروا بنوة المسيح بأنه الأبنوم الثاني من الثالث الأقدس، وهو أبنوم الابن الأزلي قد حلّ في جسد بشري فصار مسيحاً.

(ب) وفسروا أبوة الله للمسيح بأنه أصل لأبنوم الابن بمعنى أن أبنوم الابن انبثق

منه .

(ج) وفسروا الولادة بالانبثاق، أي انبثاق أبنوم الابن من أبنوم الأب.

وكل هذه التفسير لرجال النصرانية هي من اجتهاد أسلافهم لا تستند ألبتة على أي شيء من أسفار العهدين القديم والجديد، وإلى الآن تلقى القبول من أفهام رجال النصرانية الحاليين دون أي مناقشة أو فهم .

موقف الإسلام من فكرة الألوهية بالنسبة لمفاهيم اليهود والنصارى في ألفاظ الأبوة والبنوة والولادة

يقف الإسلام في عقيدته بالنسبة للألوهية موقف النقاء والوضوح الكامل، فهو يرفض فكرة البنوة والأبوة والولادة للإله بجميع أشكالها وصورها طبقاً للآتي:

١ - فالله في عقيدة الإسلام إله واحد أحد لا شريك له، وأن كل شيء محتاج إليه وحده وأنه ليس والدًا ولا مولودًا وأنه لا يماثله أحد.

٢ - وهو سبحانه وتعالى تام القدرة، تام الإرادة، تام العلم، وأنه حي لا يموت، لذا لزم أنه غير محتاج إلى اتخاذ ولد، وإلا كان اتخاذه عبثاً، والعبث محالٌ على الله، وحيث كان الأمر كذلك بطلت دعوى الولدية لله لأي سبب من الأسباب.

قال تعالى:

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ: عَزِيزُ ابْنِ اللَّهِ، وَقَالَتِ النَّصَارَى: الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ، ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾^(١).

٣ - إن الإله لا حاجة له أن يلبس جسد البشر فحسبه أن يقوم رسله بتبليغ رسالته، لذلك وجب تنزيهه عن صفات البشر، وأخصها التجسد والتعرض للأذى.

٤ - وإن الإله لا يصح في العقول أن يسعه رحم امرأة، وأن يترك هذا الملك والملكوت ليعيش في رقعة من الأرض، ثم تنتهي مهمته بالموت، وإلى أدنى ما انتهت إليه رسالة أي نبي من أنبياء البشر.

٥ - وإن الولادة تقتضي الحدوث، والحدوث على الله محال، لاقتضائه المماثلة للحوادث، والدور والتسلسل وكان ذلك مستحيل.

٦ - ولم يكن لله أحد مكافئاً ومماثلاً له سبحانه في شيء من صفاته.

قال تعالى:

(١) سورة التوبة: الآية ٣٠.

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(١).

٧ - ولهذه الأسباب ولخير البشرية وإنقاذ العقول والأرواح من هاوية الضلال أنزل الله سبحانه وتعالى سورة الإخلاص، والتي تسمى سورة التوحيد تنبيهاً على فساد عقائد من يزعم أن الله ولدأ، وإرشاداً إلى ما يجب لله من كريم الصفات، وما يجب تنزيهه عنها من أضدادها، فهو الكامل في جميع صفاته وأفعاله، وإنه تعالى ليس فوقه أحد فكل من عداه دونه، ومن كان كذلك فلا يصح أن يعبد سواه^(٢).

قال تعالى:

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، اللَّهُ الصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾^(٣).

ولله در الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، حين يقول عن الله سبحانه: (لم يولد سبحانه وتعالى فيكون في العز مُشاركاً، ولم يلد فيكون موروثاً هالكاً، ولم يتقدمه وقت ولا زمان، ولم يتعاوره زيادة ولا نقصان، لا يشغله شأن، ولا يغيره زمان، ولا يحويه مكان، ولا يعزب عنه عدد قطر الماء، ولا نجوم السماء، ولا سواقي الريح في الهواء، ولا ديبب النمل على الصفا، ولا مقيل الذر في الليلة الظلماء، يعلم مساقط الأوراق وخفي طرف الأحداث)^(٤).



(١) سورة الشورى: الآية ١١.

(٢) تفسير سورة الإخلاص لفضيلة الأستاذ مصطفى الطير بمجلة الأزهر ذو القعدة وذو الحجة ٩٢، المحرم ١٣٩٣.

(٣) سورة الإخلاص.

(٤) كتاب نهج البلاغة، للإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه.

الباب الثالث
مناقشة ألفاظ (الله – إله – رب)

أولاً: لفظ الله

يقول النصارى إن الأسفار المقدسة أطلقت لفظ الله على المسيح فقط، لكن الحقيقة أنها أطلقت هذا اللفظ على المسيح وغيره، والأمثلة الآتية توضح ذلك.

(أ) أطلقت الأسفار لفظ الله على المَلَك :

١ - فقد ورد في سفر القضاة ص ١٣ عدد ٢١، ٢٢ :

(ولم يعد ملاك الرب يتراءى لمنوح وامرأته، حيثئذ عرف منوح أنه ملاك الرب فقال منوح لامرأته، نموت موتاً لأننا قد رأينا الله).

وواضح أن الذي تراءى لمنوح وامرأته كان المَلَك^(١).

٢ - ورد في سفر التكوين ص ٣٢ عدد ٢٨ عن يعقوب عليه السلام:

(فقال لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل إسرائيل - لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت).

ولا شك أن مراده من المجاهدة كان مع المَلَك الذي صارعه، لكن أطلق عليه لفظ الله.

٣ - ورد بسفر التكوين ص ٣٢ عدد ٣٠ عن يعقوب عليه السلام:

(فدعا يعقوب اسم المكان فنيثيل قائلاً لأنني نظرت الله وجهاً لوجه).

فمقصد يعقوب أنه رأى المَلَك، وهو الذي صارعه^(٢).

٤ - ورد بسفر التكوين ص ٣٥ عدد ٩ - ١٣ عن يعقوب عليه السلام أيضاً:

(وظهر الله ليعقوب أيضاً حين جاء من فدان آرام، وباركه وقال له الله: اسمك

(١) منوح هو والد شمشون الجبار.

(٢) فنيثيل معناها وجه الله.

يعقوب، لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب، بل يكون اسمك إسرائيل، فدعا اسمه إسرائيل، وقال له الله: أنا الله القدير أثمر وأكثر أمة، وجماعة أمم تكون منك وملوك سيخرجون من صلبك، والأرض التي أعطيت إبراهيم وإسحاق لك أعطيها، وَلِنَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ أُعْطِيَ الْأَرْضَ، ثم صعد الله عنه في المكان الذي فيه تكلم معه).
فقد أطلق على الْمَلِكِ الذي ظهر ليعقوب لفظ الله خمس مرات.

٥ — ورد بسفر التكوين ص ١٧ عدد ١٥، ١٨، ١٩، ٢٢:

(وقال الله لإبراهيم: ساراي امرأتك لا تدعو اسمها ساراي بل اسمها سارة).
وقال إبراهيم لله: ليت إسماعيل يعيش أمامك، فقال الله: بل سارة امرأتك تلد لك ابناً، وتدعو اسمه إسحاق).
فلما فرغ من الكلام معه صعد الله عن إبراهيم.

٦ — ورد بسفر هوشع ص ١٢ عدد ٣، ٤ ما يفيد أن لفظ الله يعني الْمَلِكِ أيضاً فيقول هوشع النبي:

(في البطن قبض بعقب أخيه، وبقوته جاهد مع الله، جاهد مع الملاك وغلِب).
فكل ألفاظ الله التي مر ذكرها تعني الْمَلِكِ.

(ب) أطلقت الأسفار لفظ الله على القاضي الشرعي
الذي ينوب عن الله في حكمه، طبقاً للآتي:

١ — ورد في سفر الخروج ص ٢١ عدد ٥، ٦.

(ولكن إن قال العبد أحب سيدي وامرأتي وأولادي لا أخرج حراً، يقدمه سيده إلى الله، ويقربه إلى الباب أو إلى القائمة، ويثقب سيده أذنه بالمثقب فيخدمه إلى الأبد).
فقوله: يقدمه سيده إلى الله، أي: إلى القاضي كما اتفق عليه مفسرو النصراية.

٢ — ورد في سفر الخروج ص ٢٢ عدد ٨:

(وإن لم يوجد السارق يقدم صاحب البيت إلى الله ليحكم، هل يمد يده إلى ملك صاحبه).

فقوله: إلى الله، أي: إلى القاضي نائب الله.

٣ - ورد في سفر الخروج ص ٢٢ عدد ٩ :

(في كل دعوى جنائية من جهة ثور أو حمار أو شاة أو ثوب أو مفقود ما، يقال: إنَّ هذا هو، تقدم إلى الله دعواها، فالذي يحكم الله بذنبه يُعوّض صاحبه باثنين).

فقوله: إلى الله، أي: إلى القاضي نائب الله.

٤ - ومثال ذلك أيضاً ما ورد في سفر صموئيل الأول ص ٢ عدد ٢٥ :

(إذا أخطأ الإنسان إلى إنسان يدينه الله، فإن أخطأ إنسان إلى الرب فمن يصلي من أجله).

وفسر لفظ الله هنا بالقاضي لأنه يقضي بشريعة الله وسلطانه.

(ج) أطلقت الأسفار لفظ الله على الشريف أو القوي :

١ - فقد ورد في سفر التكوين ص ٦ عدد ٢ :

(وحدث لما ابتدأ الناس يكثر على وجه الأرض، وولد لهم بنات أي أبناء الله، رأوا بنات الناس أنهن حسنات فاتخذوا لأنفسهم نساء من كل ما اختاروا).

٢ - ورد في سفر التكوين ص ٦ عدد ٤ :

(إذ دخل بنو الله على بنات الناس وولدن لهم أولاداً، هؤلاء الجبابرة الذين منذ الدهر ذوو اسم).

فالتفسير اليهودية فسرت أبناء الله بالشرفاء، أو أرباب الرتب العالية وبعضهم فسره بالأقوياء.

(د) أطلقت الأسفار لفظ الله على النبي :

فقد ورد في سفر صموئيل الأول ص ٩ عدد ٩ :

(سابقاً في إسرائيل هكذا كان يقول الرجل عند ذهابه ليسأل الله: هلم نذهب إلى الرائي، لأن النبي اليوم كان يدعى سابقاً الرائي).

فذهابه ليسأل الله، أي يذهب ليسأل النبي :

والخلاصة:

على ضوء عقيدة النصرانية وفيه نتائج مهمة، خصوصاً فيما يتعلق بالمسيح:

(أ) لو كان إطلاق كلمة الله على المخلوق يقتضي أن فيه طبيعة لاهوتية للزم بالنقول السابقة أن المَلَك والقضاة والأشراف أو الأقوياء يكونون آلهة، وهذا ما لم يقل به أحد.

(ب) ولكن بالنظر لكون الملائكة والقضاة نواباً عن الله أطلق عليهم كلمة (الله)، وبالنظر إلى أن أولئك الشرفاء أو الأقوياء فيهم صفة القوة أو المجد اللتين يوصف بهما الله، أطلق عليهم لفظ الله مجازاً بالقدر الذي يليق أمام جلال الله.

(ج) إذا كان النصارى يفسرون ما ورد بمزمور ٤٥ عدد ٦ ونصه:

(كرسيك يا الله إلى دهر الدهور) بأنه إطلاق لفظ الله على المسيح، وأن فيه إشارة إلى لاهوت المسيح، ففضلاً عما سبق ذكره من أدلة على نقض ذلك من إطلاق لفظ الله على عدة ذوات كالملك والقاضي والشريف والقوي والنبي، مما يفهم أن المقصود بها هنا إلى نبي دون تحديده بذاته فقد يكون المسيح، وقد يكون سليمان، وقد يكون غيرهما مما يهدم اعتقاد النصارى بتخصيص لفظ الله على المسيح.

(د) فضلاً عن ذلك فإن المسيح أطلق على نفسه في الأناجيل الأربعة (ابن الإنسان) أكثر من ١٠٠ مرة، فقد ورد في سفر العدد وهو مهم جداً:

(ليس الله إنساناً فيكذب، ولا ابن إنسان فيندم).

فالمسيح حيث سَمِيَ نفسه مراراً ابن الإنسان لا يكون هو الله بمقتضى هذا النص.

انظر سفر العدد ص ٢٣ عدد ١٩.

(هـ) مما يؤكد ذلك: أن المسيح لم يرض أن يوصف بالصلاح، طبقاً لما ورد في إنجيل متى ص ١٩ عدد ٦، ٧ — وطبقاً لإنجيل مرقس ص ١٠ عدد ١٧، ١٨ — وإنجيل لوقا ص ١٨ عدد ١٨، ١٩ ونصه:

(وإذا واحد تقدم وقال له أيها المعلم الصالح، أي صلاح أعمل لتكون لي الحياة الأبدية، فقال له لماذا تدعوني صالحاً، ليس أحد صالحاً إلاً واحد وهو الله).

فإذا كان المسيح لم يرض بأن يوصف بالصلاح، فكيف يرضى بأن يوصف بالآلوهية؟

وإذا كان قد نفي الصلاح عن كل ما سوى الله، وحصره في واحد وهو الله، فهل يكون بعد هذا الواحد وهو الله إله آخر؟ اللهم كلا.

ثانياً: لفظ إله

يقول النصارى إنه جاء في الأسفار لفظ الله مشاراً به إلى لاهوت المسيح طبقاً لما يرونه ويفسرونه لأنفسهم وطبقاً لما يأتي:

١ - ما ورد في سفر أشعيا ويدعون ذلك على المسيح ص ٩ عدد ٦:
(ويدعى اسمه عجيباً مشيراً إلهاً قديراً).

٢ - ما ورد برسالة بولس إلى أهل روميه ص ٩ عدد ٥:
(ومنهم المسيح حسب الجسد الكائن على الكل - إلهاً مباركاً إلى الأبد).

٣ - ما ورد بإنجيل يوحنا ص ٢٠ عدد ٢٨ عن توما تلميذ المسيح:
(أجاب توما وقال له ربي وإلهي).

ولذلك فالنصارى طبقاً لما سبق يعتبرون المسيح إلهاً.

الرد :

والرد على ذلك جد يسير: فإن الأسفار أطلقت لفظ إله على غير المسيح كما أطلقت على المسيح تماماً، ولندلل بالأمثلة، وقبل أن نسردها نقول:
بادئ ذي بدء فإن ما ورد في أشعيا ص ٩ عدد ٦ من بشارة، لا تتعلق بالمسيح إطلاقاً، بل تتعلق بحزقيا بن آخاز ملك يهوذا، كما حققه المحققون في اليهودية.

(أ) يطلق إله على القاضي في بني إسرائيل ، كما جاء بالأسفار :

١ - ورد بإنجيل يوحنا ص ١٠ عدد ٣٣ - ٣٦ خطاباً من اليهود للمسيح عليه السلام:

(أجابه اليهود قائلين: لسنا نرجمك لأجل عمل حسن، بل لأجل تجديد^(١))، فإنك وأنت إنسان تجعل نفسك إلهاً، أجابهم يسوع: أليس مكتوباً في ناموسكم: أنا قلت إنكم آلهة، فإذا كانت الشريعة تدعو أولئك الذين صارت إليهم كلمة الله^(٢) آلهة - ولا يمكن أن يُنقض المكتوب - فالذي قدسه الله وأرسله إلى العالم أتقولون له إنك تجدف لأنني قلت إنني ابن الله).

ويريد المسيح أن يقول لهم: إن الله تعالى نسب الألوهية إلى هؤلاء القضاة من بني إسرائيل، وقد دعاهم الله آلهة لأنهم رؤساء الشعب، ومكانتهم أرفع من مكانة غيرهم من الناس، لأن الله نفسه عيّنهم لوظيفتهم، وهم أخذوا سلطانهم منه، وقضوا بالنيابة عنه.

ويقول المسيح: إن هؤلاء القضاة هم دونه في الفضل والقداسة، وإذا جاز الله أن ينسب إليهم الألوهية لما تقدم بالتأويل، فكم بالحري أن يجوز للمسيح أيضاً أن ينسب لفظ الألوهية لنفسه بالتأويل أيضاً، لكونه مقدساً ومرسلًا من الله لهداية العالم.

٢ - ورد في مزمور ٨٢ عدد ١:

(الله قائم في مجمع الله، في وسط الآلهة يقضي).

٣ - ورد في مزمور ٨٢ عدد ٦:

(أنا قلت إنكم آلهة، وبنو العلي كلكم).

وهذا هو ما أشار إليه المسيح بكلامه السابق، ومنه يتبين أن كلمة - إله - تطلق على الرئيس الديني رفيع المنزلة عند الله تعالى، مثل قضاة بني إسرائيل.

(١) التجديد يعني الكفر بالنعمة.

(٢) ومن صارت إليهم كلمة الله هم القضاة من بني إسرائيل.

(ب) أطلقت الأسفار لفظ إله على المَلَك :

١ - فقد ورد في سفر التكوين ص ١٦ عدد ١٣ عن هاجر:
(فدعت اسم الرب الذي تكلم معها أنت إيل رثي).

أي إله الرؤية، مع أن الذي تكلم معها ليس هو الرب الحقيقي، بل هو المَلَك، كما قال قبله في نفس سفر التكوين ص ١٦ عدد ٧ ونصه:
(فوجدتها ملاك الرب على عين الماء التي في البرية).

٢ - ورد في سفر التكوين ص ٣١ عدد ١١ - ١٣:
(وقال لي ملاك الله في الحلم: يا يعقوب فقلت: ها أنذا، فقال: ارفع عينيك وانظر جميع الفحول الصاعدة على الغنم مخططة ورقطاء ومنمرة، لأنني قد رأيت ما يصنع بك لابان، أنا إله بيت إيل حيث مسحت عموداً حيث نذرت لي نذراً).
فالتكلم مع يعقوب عليه السلام هو ملاك الله، ولكنه قال أنا إله بيت إيل لأنه كان يتكلم بالنيابة عن الله.

ومما تقدم يتبين بجلاء أنه أطلق لفظ إله على الملاك.

(ج) أطلقت الأسفار لفظ إله على موسى :

فقد ورد في سفر الخروج ص ١٧ عدد ١:
(فقال الرب لموسى: انظر أنا جعلتك إلهاً لفرعون وهارون أخوك يكون نبيك).
فهل يجوز أن يفهم من إطلاق هذه الكلمة على موسى أن فيه طبيعة لاهوتية؟
لم يقل أحد بذلك، فيكون المعنى أن موسى بمنزلة إله في القوة والمعجزات مما لا يمكن لأحد أن يقاومه.

ومعنى كون هارون نبيه أنه مبلغ كلامه لفرعون، وموضح له، ويفسر ذلك بوضوح ما ورد بسفر الخروج ص ٤ عدد ١٦:
(وهو يكون لك فما وأنت تكون له إلهاً).

فهارون عليه السلام يتوب عن موسى عليه السلام في الكلام أمام فرعون.

فالله تعالى يبلغ موسى ما يريد، وموسى يأمر أخاه هارون بالتكلم بما أنبأه الله به، فيكون موسى نائباً عن الله، ويكون هارون نائباً عن موسى.

(د) أطلقت الأسفار لفظ الآلهة على الأشراف :

فقد ورد في مزمو ١٣٨ عدد ١ قول داوود عليه السلام:
(أحمدك من كل قلبي، قدام الآلهة أعزف لك).

فقد فسّر علماء اليهود عبارة الآلهة هنا بالأشراف أصحاب الرتب العالية.
والنتيجة :

من كل ما تقدم يتضح أن كلمة إله تطلق في الأسفار؛ إما :

١ — على الله المعبود بحق سبحانه وتعالى.

٢ — وقد تطلق بالمعنى المجازي أو التشبيهي على غيره ممن صارت إليهم كلمة الله من القضاة الشرعيين النائبين عن الله في الحكم، وعلى المَلَك والأشراف وعلى النبي مثل النبي موسى عليه السلام.

٣ — ولأجل الاحتراز بين لفظ الإله بالمعنى التشبيهي أو المجازي، أعلن المسيح عليه السلام ذلك في إنجيل يوحنا ص ١٧ عدد ٣ بقوله:
(وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك، ويسوع المسيح الذي أرسلته).

(أ) فقول المسيح: (الحقيقي) كلمة مهمة وضرورية حيث إن جماعة اليهود والنصارى اصطَلَحُوا على سهولة إطلاقها على غير الله كالمَلَك والقاضي والشريف والنبي.

(ب) وهذا الإله الحقيقي هو الذي ناداه المسيح بقوله الوارد في إنجيل متى ص ٢٧ عدد ٤٦ :

(إيلي إيلي لما شبقطني) أي إلهي إلهي لماذا تركتني.

(ج) وهو المراد في قول بطرس في رسالته إلى أفسس ص ١ عدد ١٧ :
(كي يعطيكم إله ربنا يسوع المسيح أبو المجد روح الحكمة والإعلان في معرفته).

ثالثاً: لفظ ربّ

يقول النصارى: إنه ورد إطلاق كلمة رب على المسيح في مواضع كثيرة منها:

١ - ما ورد في إنجيل يوحنا ص ٢٠ عدد ٢٨ قال توما موجهاً كلامه للمسيح: (أجاب توما وقال له ربي وإلهي).

٢ - كما ورد في سفر أعمال الرسل ص ١٠ عدد ٣٦ وقيل عنه وصفاً للمسيح: (هذا هو رب الكل).

والجواب على ذلك جد يسير: فلقد أطلقت الأسفار المقدسة كلمة رب على غير المسيح طبقاً للآتي:

(أ) أطلقت الأسفار لفظ رب على الكاهن والقاضي:

فقد ورد في سفر التثنية ص ١٩ عدد ١٧ ونصه:

(يقف الرجلان اللذان بينهما خصومة أمام الرب).

وقد فسر علماء أهل الكتاب من اليهود والنصارى الرب بالكاهن والقاضي الذي ينوب عنه في الحكم الشرعي.

(ب) أطلقت الأسفار لفظ رب بمعنى المعلم:

١ - فقد ورد في إنجيل يوحنا ص ١ عدد ٣٨ عن اثنين من تلاميذ المسيح:

(فقالا: ربي. الذي تفسيره: يا معلم).

٢ - كما ورد في إنجيل يوحنا ص ٢٠ عدد ١٦:

(قال لها يسوع: يا مريم، فالتفتت تلك وقالت: ربوتي^(١)). الذي تفسيره: يا معلم).

٣ - وعلى هذا المعنى يكون مقصود اللفظ الوارد بسفر أعمال الرسل ص ١٠

عدد ٣٦ عندما قال بطرس: (هذا هو رب الكل).

(١) ربوتي كلمة عبرانية معناها يا معلم كما ورد في إنجيل يوحنا.

فإنه يريد به معلم الكل، أي أنه معلم لليهود وغيرهم، أي أن المسيح رسول ومعلم للجميع وليس لفئة معينة.

(ج) أطلقت الأسفار لفظ رب بمعنى السيد :

١ — فقد ورد في مزمور ١٠ عدد ٥١ : (فقال له الأعمى : يا سيدي).

فإن كلمة سيدي في الأصل العبراني : (ربوئي).

٢ — ورد بإنجيل متى ص ٢٣ عدد ٧ :

(والتحيات في الأسواق وأن يدعوهم الناس : سيدي سيدي).

فإن سيدي سيدي ترجمة لفظ ربي ربي في اليونانية.

ومعناها في الأصل رئيس ثم أطلقت على المعلم الديني.

وكان عند اليهود ثلاثة ألقاب شرف يلقبون بها المعلمين ورجال الدين اليهود على

قدر علمهم وقداستهم وهي :

لقب راب.

لقب رابي . . وهو أعظم من اللقب السابق.

لقب رابوني . . وهو أعظم من كليهما.

(د) أطلقت الأسفار لفظ رب على المَلِك :

١ — فقد ورد في سفر القضاة ص ٦ عدد ١١ — ٢٤ :

(وأتى ملاك الرب وجلس تحت البطمه التي في عفره التي ليوآش الأبيعزري، وكان

جدعون ابنه يخبط حنطة في المعصرة، لكي يهربها من المديانيين، فظهر له ملاك الرب،

وقال له الرب : معك يا أيها المحارب الباسل، فقال له جدعون : أسألك يا سيدي إذا كان

الرب معنا فلماذا^(١) أصابنا كل هذه، وأين كل عجائبه التي أخبرنا بها آباؤنا قائلين : ألم

يصعدنا الرب من مصر والآن قد رفضنا الرب، وجعلنا في كف مديان، فالتفت إليه

الرب، وقال : اذهب بقوتك هذه، وخلص إسرائيل من كف مديان، أما أرسلتك، فقال

(١) جدعون هذا هو أحد قضاة بني إسرائيل.

له: أسألك ياسيدي بماذا أخلص إسرائيل؟ هذه عشيرتي أضعف عشيرة في مئسى وأنا الأصغر في بيت أبي، فقال له الرب: إني أكون معك وستضرب المديانيين^(١) كرجل واحد، فقال له: إن كنت قد وجدت نعمة في عينيك فاصنع لي علامة أنك أنت تكلمني، لا تبرح من ههنا حتى آتي إليك، وأخرج تقدمتي، وأضعها أمامك فقال: إني أبقي حتى ترجع، فدخل جدعون وعمل جدي معزى وأيفه^(٢) دقيق فطيراً، أما اللحم فوضعه في سل، وأما المرق فوضعه في قدر، وخرج بها إليه إلى تحت البطمة وقدمها. فقال له ملاك الله: خذ اللحم والفطير وضعهما على تلك الصخرة، واسكب المرق، ففعل كذلك، فمد ملاك الرب طرف العكاز الذي بيده ومس اللحم والفطير، فصعدت نار من الصخرة، وأكلت اللحم والفطير، وذهب ملاك الرب عن عينيه، فرأى جدعون أنه ملاك الرب، فقال جدعون: آه يا سيدي الرب، لأنني قد رأيت ملاك الرب وجهاً لوجه، فقال له الرب: السلام لك لا تخف، لا تموت، فبنى جدعون هناك مذبحاً للرب ودعاه يهوه شالوم).

فقد سمى المَلَك رباً في نص سفر القضاة السابق أربع مرات.

٢ - ورد في سفر حزقيال ص ٤ عدد ٢٤:

(وحدث في الطريق في المنزل أن الرب التقاه وطلب أن يقتله).

فهذا الرب الذي لقي موسى في الطريق، هو المَلَك أراد أن يقتل موسى من أجل أنه لم يختن ولده أليعازر.

٣ - ورد في سفر التكوين عن هاجر ص ١٦ عدد ١٣:

(فدعت اسم الرب الذي تكلم معها أنت إيل رئي).

مع أن الذي تكلم معها ليس هو الرب الحقيقي، بل هو الملاك كما قال قبله في نفس سفر التكوين عدد ٧ - ١٣:

(فوجدها ملاك الرب على عين الماء في البرية...).

(١) المديانيون: هم نسل مديان أحد أولاد إبراهيم عليه السلام، وكانوا يقطنون أرض مديان الممتدة من

خليج العقبة إلى مواب وقيل من شبه جزيرة سيناء حتى نهر الفرات.

(٢) أيفه: هو مكيال خاص كان عند اليهود للأشياء الجافة.

(فقال لها ملاك الرب: ارجعي إلى مولاتك واخضعي تحت يديها...).

(وقال لها ملاك الرب: تكثيراً أكثر نسلك فلا يعد من الكثرة...).

(وقال لها ملاك الرب: ها أنت حبلى فتلدين ابناً وتدعين اسمه إسماعيل لأن الرب قد سمع لمذلتك وأنه يكون إنساناً وحشياً يده على كل واحد ويد كل واحد عليه...).

(فدعت اسم الرب الذي تكلم معها أنت إيل رثي).

٤ - ورد في سفر التكوين ص ١٨ عدد ١٧ عن إبراهيم عليه السلام:

(فقال الرب: هل أخفي عن إبراهيم ما أنا فاعله).

فقد فسروا الرب بالملاك النائب عن الرب ونظيره في ص ١٨ عدد ٢٣:

(وأما إبراهيم فكان لم يزل قائماً أمام الرب) أي الملك النائب عن الرب.

وأيضاً في نفس سفر التكوين ص ١٨ عدد ٣٣:

(وذهب الرب عندما فرغ من الكلام عن إبراهيم).

وفي السفر المذكور ص ١٨ عدد ١:

(وظهر له الرب عند بلوطات ممراً وهو جالس في باب الخيمة وقت حر النهار).

فالذي ظهر هنا كان ملاك الرب.

٥ - ورد في سفر الخروج ص ١٢ عدد ٢٢، ٢٣:

(وخذوا باقة زوفا^(١) واغمسوها في الدم الذي في الطست، ومسوا العتبة العليا والقائمتين بالدم الذي في الطست، وأنتم لا يخرج أحد منكم من باب بيته حتى الصباح، فإن الرب يجتاز ليضرب المصريين، فحين يرى الدم على العتبة العليا والقائمتين يعبر الرب عن الباب، ولا يدع المهلك يدخل بيوتكم ليضرب).

فلا يمكن أن يحتاج الإله إلى علامة تفرق بينهما حتى لا يغلط بإهلاكه أحد اليهود بدلاً من المصريين، إنما فلا بد من حملة على الملاك وقد فسره علماؤهم بذلك.

٦ - ورد في سفر الخروج ص ١٣ عدد ٢١:

(وكان الرب يسير أمامهم نهاراً في عمود السحاب ليهديهم في الطريق).

كما ورد في السفر المذكور ص ١٤ عدد ١٩:

(١) الزوفا: قيل إنه نبات الزعتر.

(فانتقل ملاك الله السائر أمام عسكر إسرائيل، وسار وراءهم وانتقل عمود السحاب من أمامهم، ووقف وراءهم).

فهنا الرب هو ملاك الله كما فسرته في النص الثاني نفسه، وهذا من قبيل المجاز وشبيه ذلك:

ما ورد في القرآن الكريم فقد ورد به استعمال لفظ رب مجازاً على المَلَك إذ ورد في سورة آل عمران قول السيدة مريم للمَلَك جبريل عليه السلام عندما ظهر لها وبشرها بالمسيح عليه السلام.

﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ، قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(١).

فيبدو أن لفظ رب، ومقصوده المَلَك كان مشهوراً لدى اليهود وقتئذ، واستعمل عندهم لأن السيدة مريم خاطبت الملاك جبريل بقولها: ﴿رب أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر﴾، فمعنى ربّ هنا معلمي^(٢) أو سيدي، وهذا يطابق معناها لغة في اللغة العربية، وغيرها من اللغات، لذلك أجابها الملاك إجابة واضحة، لا لبس فيها ليميز لها بين الحقيقة والمجاز: ﴿قال كذلك الله يخلق ما يشاء﴾، فأسند الخلق لله سبحانه وحده ولم يقل كذلك أنا أخلق ما أشاء.

ونظيره ما ورد في سورة مريم أيضاً عن الملاك جبريل أيضاً.

﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبِّكَ هُوَ عَلَيَّ هِينٌ﴾^(٣).

فأسند القول لربها أي الله، ولم يقل: كذلك أقول لك هو علي هين.

(هـ) أطلقت الأسفار لفظ الرب على قايين بن آدم:

فقد جاء في سفر التكوين في الأصل العبراني ص ٤ عدد ١ ما نصه:

(١) سورة آل عمران: الآية ٤٧.

(٢) والملاك جبريل هو المعلم الكبير القوي لأنه سفير الوحي وقد أسند له القرآن الكريم تعليم الأنبياء كما بين ذلك في سورة النجم تعليمه للنبي محمد ﷺ ﴿علمه شديد القوى﴾.

(٣) سورة مريم: الآية ٢١.

(وعرف آدم حواء امرأته فحبلت وولدت قابين، وقالت اقتنيت رجلاً الذي هو الرب).

وهذه العبارة توجد في التوراة الأصلية المطبوعة الآن باللغة العبرية خلافاً للنسخة العربية المطبوعة في أكسفورد.

(و) أطلقت الأسفار لفظ الرب بمعنى الصاحب :

(أ) فقد جاء في سفر التكوين ص ٤٩ عدد ٢٣ : (واضطهدته أرباب السهام).

(ب) ورد في سفر أيوب ص ٢٩ عدد ٥ : (لكل عمل بيد أرباب الصنائع).

(ج) ورد في سفر الجامعة ص ١٢ عدد ١١ :

(كلام الحكماء كالمناسيس ، وكأوتاد منفرة ، أرباب الجماعات قد أعطيت من راع واحد).

(د) ورد في إنجيل متى ص ١٣ عدد ٢٧ :

(فجاء عبيد رب البيت وقالوا له يا سيد أليس زرعاً جيداً زرعت في حقلك).

(ز) إطلاق القرآن الكريم لفظ الرب على السيد

أو على سائس القوم أو على الملك :

١ - ورد ذلك في قوله تعالى في سورة يوسف عن عزيز مصر على لسان يوسف عليه السلام : ﴿إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾ .

ثم قوله : ﴿أَمَا أَحَدُكُمْ فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا﴾ .

ثم قوله : ﴿فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾ .

فرب هنا بمعنى السيد أو سائس القوم أو الملك .

(ح) إطلاق لفظ الرب على المسيح ليس مرادفاً للإله المعبود بحق :

١ - ورد برسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس ص ٨ عدد ٥ ، ٦ :

(لأنه إن وجد ما يسمى آلهة، سواء كان في السماء أو على الأرض كما يوجد آلهة كثيرون، وأرباب كثيرون، لكن لنا إله واحد الآب الذي منه جميع الأشياء ونحن له، ورب واحد يسوع المسيح الذي به جميع الأشياء ونحن به).

فالآب هو الله تعالى ومنه جميع الأشياء، أي مصدر كل الموجودات، ونحن له أي مملوكون وعابدون ويقابل ذلك :

الابن الذي هو يسوع المسيح، وعبر عنه بعبارة الرب، والتي تفيد المعلم، أي أنه معلم للأمور الدينية.

(ب) يؤكد هذا المعنى قول إنجيل متى على لسان المسيح ص ٢٣ عدد ٩ :

(ولا تدعوا لكم أباً على الأرض لأن أباكم واحد الذي في السموات).

(ولا تدعوا معلمين لأن معلمكم واحد المسيح).

فبولس عبر عن المسيح بالرب، والمسيح عبر عن نفسه بالمعلم.

(ج) وقد أكدده المسيح مرة أخرى في إنجيل يوحنا ص ١٧ عدد ٣ بقوله :

(وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك، ويسوع المسيح الذي أرسلته).

فالرب بهذا المعنى يعني المعلم، وقد عبر عنه المسيح أيضاً بذلك المعنى، كما عبر عنه بالرسول لأن الرسول هو المعلم لأمته، ووظيفته لا تخرج عن دائرة التعليم وبيان التعاليم.

(ط) ما هي القرينة التي تمنع إطلاق لفظ رب بمعنى (الله) على المسيح، وبالتالي تعين أن المعنى المقصود على المسيح هو :
المعلم، أو : المربّي :

(أ) القرينة الأولى المانعة لإطلاق رب بمعنى الله: هو أن المسيح يُرى والله لم يره أحد وهذه واحدة.

(ب) وقرينة ثانية: أنه رسول الله ومسيحه فقط.

(ج) وقرينة ثالثة: أنه كان يصلي لله من أجل تلاميذه.

(د) وقرينة رابعة: أنه أنكر نفسه بأنه صالح.

هذه قرائن أربع ولتتكلّم عنها بشيء من التفصيل.

* * *

(أ) عن القرينة الأولى: فقد ورد برسالة يوحنا الأولى ص ١ عدد ٥:

(والله لم يره أحد قط، الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو خبّر).

(ب) وعن القرينة الثانية، فقد ورد بإنجيل يوحنا ص ١٧ عدد ٣:

(وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك، ويسوع المسيح الذي أرسلته).

فلقد أخبر المسيح أنه مسيح ورسول، أما الألوهية فقد حصرها في الإله الواحد حقيقة.

(ج) وعن القرينة الثالثة، وهي أنه كان يصلي لله، فقد ورد بإنجيل لوقا ص ٢٢

عدد ٣٢ خطاباً لبطرس تلميذه:

(ولكني تضرّعت من أجلك لكي لا يفنى إيمانك).

فلو كان المسيح إلهاً لم يحتاج لأن يصلي لغيره، ويدعوه في حصوله الشيء وهو عدم فناء الإيمان لبطرس.

(د) وعن القرينة الرابعة: وهي أنه أنكر أن يدعوه أحد صالحاً، فقد ورد في

إنجيل متى ص ١٩ عدد ١٦، ١٧:

(وإذا واحد تقدم وقال له: أيها المعلم الصالح أي صلاح أعمل لتكون لي الحياة

الأبدية؟ فقال له: لماذا تدعوني صالحاً؟ ليس أحد صالحاً إلّا واحد وهو الله).

وقد تأكد هذا المعنى على لسان داوود عليه السلام، فقد ورد في مزمو ١١٨ عدد ١ : (احمدوا الرب لأنه صالح).

فداوود وصف الرب بأنه صالح، والمسيح أنكر على التلميذ وصفه له بكونه صالحاً قائلاً: (ليس أحد صالحاً إلاً واحد وهو الله).
فدل ذلك على أن المسيح ليس برب بمعنى إله، بل بمعنى آخر هو معنى المعلم أو السيد.

(ي) لفظ الرب بمعنى المعلم أو المتمم أو الربّي أو

السيد والملك على ضوء أقوال المسيح وتلاميذه :

(أ) هناك قرينة على كون لفظ الرب إذا استعمل في المسيح يكون بمعنى المعلم :

١ - وهو ما ورد في إنجيل يوحنا ص ١ عدد ٣٨ على لسان تلميذ المسيح خطاباً للمسيح ونصه :

(فقالا ربي - الذي تفسيره يا معلم - أين تمكث).

٢ - وقد كان هذا الوصف مخصوصاً بين التلاميذ بالمسيح حسبما قال هو نفسه في إنجيل متى ص ٢٣ عدد ١٠ :

(ولا تدعو معلمين لأن معلمكم واحد المسيح).

٣ - وكما ورد بإنجيل لوقا ص ٢٢ عدد ١١ ونصه قول المسيح مخاطباً تلميذه :
(وقولا لرب البيت : يقول لك المعلم أين المنزل).

* * *

(ب) وهنا قرينة ثانية على كون لفظ الرب إذا استعمل في المسيح يكون بمعنى المتمم هي كون التتميم، وظيفة المسيح ومهمته الكبرى التي جاء لأجلها.

١ - فقد ورد بإنجيل متى ص ٥ عدد ١٧ على لسان المسيح ما نصه :

(لا تظنوا أنني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأكمل).
وفي ترجمة أخرى: (لأتمم).

٢ — وكما قال في إنجيل يوحنا ص ٤ عد ٣٤ على لسان المسيح نفسه:
(طعامي أن أعمل مشيئة الذي أرسلني وأتمم عمله).

* * *

(ج) وقرينة الثالثة على كون لفظ الرب إذا أطلق على المسيح يكون بمعنى
المربي:

ما ورد بإنجيل متى ص ٢٣ عد ٣٧ وإنجيل لوقا ص ١٣ عد ٣٤ وقوله:
(يا أورشليم — يا أورشليم — يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها، كم مرة
أردت أن أجمع أولادك، كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها).
فهنا كناية عن محاولة المسيح القيام بتربيتهم فيكون مربياً لهم.

* * *

(د) وقرينة رابعة على كون لفظ الرب إذا أطلق على المسيح يكون بمعنى
السيد:

١ — فهو قول مريم المجدلية للملكين عندما جاءا عند قبر المسيح وهو الوارد
بإنجيل يوحنا ص ٢٠ عد ١٣:
(قالت لهما: إنهم أخذوا سيدي).

٢ — وما هو وارد بإنجيل متى ص ٨ عن قول قائد المئة للمسيح:
(يا سيد لست مستحقاً أن تدخل تحت سقفي).

* * *

(هـ) وقرينة خامسة على كون لفظ الرب إذا أطلق على المسيح كان بمعنى الملك
هو كونه عهد في المسيح إطلاق لفظ الملك عليه:

١ — فقد ورد في إنجيل يوحنا ص ١٩ عد ٢١ قولهم عن المسيح:
(بل إن في ذاك قال أنا ملك اليهود).

٢ — وورد في سفر أعمال المرسل ص ١٧ عد ٧:
(قائلين إنه يوجد ملك آخر: يسوع).

٣ - ورد بإنجيل متى ص ٢١ عدد ٤ ، ٥ :

(فكان هذا كله لكي يتم ما قيل بالنبي القائل قولاً لابنة صهيون هو ذا ملكك يأتيك وديعاً).

٤ - ورد بإنجيل لوقا ص ١٩ عدد ٣٨ :

(قائلين مبارك الملك الآتي باسم الرب).

٥ - وما ورد بإنجيل يوحنا ص ١٢ عدد ١٣ :

(مبارك الآتي باسم الرب ملك إسرائيل).

والنتيجة :

أنه لو كان في إطلاق لفظ الرب على المسيح أن يكون فيه طبيعة لاهوتية للزم أن يكون كذلك على غيره ممن أطلق عليه ذلك اللفظ.

(ك) لفظ رب الأرباب وملك الملوك :

فقد أطلقت هذه الألفاظ على المسيح طبقاً للآتي :

(أ) يقول النصارى عن المسيح أنه وصف برب الأرباب وملك الملوك . فقد ورد

في رؤيا يوحنا ص ١٧ عدد ١٤ عن المسيح :

(وله على ثوبه وعلى فخذه اسم مكتوب ملك الملوك ورب الأرباب).

(ب) ويقولون إن ما وصف به المسيح فيما سبق وصف به الله الآب . فقد ورد في

رسالة بولس الأولى إلى تيموثاوس ص ٦ عدد ١٥ عن الله سبحانه :

(الذي سيبيته في أوقاته المبارك العزيز الوحيد ملك الملوك ورب الأرباب).

(ج) وقد ورد في سفر التثنية ص ١٠ عدد ١٧ عن الله سبحانه :

(إله الآلهة ورب الأرباب).

(د) وقد ورد في مزمو ١٣٦ عدد ٣ عن داود عليه السلام وحمده لله :

(احمدوا رب الأرباب).

ويستدل النصارى من ذلك على كون المسيح الابن مساوياً للآب، وعلى أن فيه

طبيعة لاهوتية.

والرد على ذلك جد يسير :

(أ) فكما وصف الله بكونه ملك الملوك، وصف بعض سلاطين العالم بأنه ملك الملوك، ومع هذا فلم يقل أحد بمساواة هؤلاء السلاطين لله عز وجل لوجود اختلاف في المعنى وإن اتحدا في اللفظ .

فلذلك لا يلزم في وصف المسيح بأنه ملك الملوك، مساواته لله تعالى، فقد وصف الله بكونه رباً بالمعنى الحقيقي، ثم وصف المسيح بكونه رباً بمعنى المعلم، كما فسره يوحنا في إنجيله ص ١ عدد ٣٨ فلم يلزم من هذا مساواته لله نظراً لاختلاف المعنى .

فكذلك إذا قيل عن الله رب الأرباب، بالمعنى الحقيقي، ثم قيل عن المسيح رب الأرباب فالمعنى يكون طبقاً للتفسير السابق من يوحنا أنه معلم المعلمين أو سيد الأسياد، ولا يلزم منه المساواة بينه وبين الله قطعاً .

(ب) قيل عن الله سبحانه وتعالى في الأسفار: إنه رب الجنود أكثر من ٢٠٠ مرة، ولم يقل ذلك ولا مرة واحدة عن المسيح، ويبدو أن السبب في ذلك هو أن عبارة رب الجنود تساوي عبارة رب العالمين، وهذه لم تطلق ولن تطلق إلا على الله تعالى وحده .

ويقصد برب الجنود رب الملائكة والأبرار والمجاهدين .

(ج) ورد نظير ملك الملوك ورب الأرباب على غير المسيح . فقد ورد في سفر رؤيا يوحنا اللاهوتي ص ٣ عدد ١٢ عن الغالب الظافر :

(من يغلب فسأجعله عموداً في هيكل إلهي، ولا يعود يخرج إلى خارج، وأكتب عليه اسم إلهي واسم مدينة إلهي أورشليم الجديدة النازلة من السماء من عند إلهي واسمي الجديد) .

فهنا يخلع على الغالب اسم الإله، وهو رب الأرباب وملك الملوك، وقوله: عليه يصدق بفخذه وثوبه، كما ورد في وصف المسيح، ونظيره ما ورد في سفر العدد ص ٦ عدد ٢٧ عن بني إسرائيل عموماً قوله :

(فيجعلون اسمي على بني إسرائيل) .

والنتيجة من كل ذلك :

أنه لا يقتضي ذلك وجود طبيعة لاهوتية في أحد فيمن ذكر مطلقاً، وإلاً للزم أن يكونوا جميعهم آلهة وهذا محال.

(ل) لفظ الرب برنا :

يقول النصارى إنه ورد بسفر أرميا ص ٢٣ عدد ٥ ، ٦ لفظ الرب برنا وهم أولوه على المسيح ونصه :

(ها أيام تأتي يقول الرب وأقيم لداود غصن بر، فيملك ملك وينجح ويجري حقاً وعدلاً في الأرض، في أيامه يخلص يهوذا، ويسكن إسرائيل آمناً، وهذا هو اسمه الذي يدعونه به الرب برنا)، ويقولون :

(أ) إن هذا اللفظ الرب برنا لم يحصل لغير المسيح من جهة .

(ب) ووجود لفظ الرب به يدل على ما فيه من طبيعة لاهوتية .

والرد على ذلك :

بادىء ذي بدء إن المسيح عليه السلام ليس من غصن داود، أي ليس من سلالة، لأنه من نسل السيدة مريم، والسيدة مريم ليست من نسل داود، بل إن الذي من نسل داود هو يوسف النجار، ولا ارتباط نسبي بين المسيح ويوسف النجار خطيب أمه، إلا إذا طعن في شرف أمه بأنه جاء نتيجة اتصال غير شرعي قبل الزواج بينها وبين يوسف النجار كما تزعم اليهود .

إن هذا اللفظ الرب برنا تسمت به مدينة أورشليم أيضاً .

فقد ورد في سفر أرميا ص ٣٣ عدد ١٤ — ١٦ ما نصه :

(ها أيام تأتي يقول الرب وأقيم الكلمة الصالحة التي تكلمت بها إلى بيت إسرائيل وإلى بيت يهوذا، في تلك الأيام وفي ذلك الزمان أنبت لداود غصن البر فيجري عدلاً وبراً في الأرض في تلك الأيام، يخلص يهوذا وتسكن أورشليم آمنة، وهذا ما تسمى به الرب برنا)، ونظيره :

ما ورد بسفر حزقيال ص ٤٨ عدد ٣٥ :

(واسم المدينة من ذلك اليوم يهوشمه).

وفي اللغة العبرانية يهوشمه معناها الرب برنا.

فلو كان الرب برنا تقتضي وجود طبيعة لاهوتية فيمن وصف بها، لكانت مدينة أورشليم بها هذه الطبيعة اللاهوتية أيضاً.

ولقد سميت باسم إيلياه، كما في بعض الأخبار، ومعنى هذا الاسم الرب الله، لأن إيل معناها الرب، وياه معناها الله فهل يعني ذلك أن لها طبيعة إلهية لاهوتية؟ والجواب أنه لم يقل أحد بذلك، ولهذا يبطل احتجاج النصارى بهذه الحجة.

* * *

فصل (١) :

يدّعي النصارى أن في تسمية المسيح عليه السلام الرب برنا بإدخال اسم الرب عليه جعل فيه طبيعة لاهوتية.

ولكن الحقيقة أن الأسفار يوجد بها أسماء كثيرة أدخل فيها اسم الله، وأطلقت على الناس ولم يتصور أحد فيمن أطلقت عليه وجود طبيعة لاهوتية ومثال ذلك الآتي :

- ١ — إسماعيل ومعناه الله يسمع في اللغة العبرانية.
- ٢ — يهوشع ومعناه الرب خلص في اللغة العبرانية أو يهوه عون.
- ٣ — ياسون وهو اسم للرجل التسالونيكى في اللغة اليونانية، وهو من أقارب بولس الذي كان بولس ورفيقه سيلا في بيته أيام وجودهما في تسالونيك وهي مدينة بمقدونيا في بلاد اليونان وتدعى سالانيك.

- ٤ — إيلياه ومعناه الرب الله في العبرانية.
- ٥ — يهوذا ومعناه الله شكور في العبرانية.
- ٦ — يهوياقيم ومعناه الله يرفع في العبرانية.
- ٧ — أرميا ومعناه معظم من الله في العبرانية.
- ٨ — أشعيا ومعناه خلاص الله في العبرانية.

- ٩ - يوحنا ومعناه في العبرانية يوحنا - أي - الله حنان أو هو مختصر لاسم يهوه حنان، أي الرب الرحيم.
- ١٠ - جبرائيل أي جبار الله أو قوة الله أو رجل الله في العبرانية.
- ١١ - العازر ومعناه الرب عون.
- ١٢ - ياهو ومعناه الله أو الإله.
- ١٣ - عمانوئيل وهو اسم لابن أشعيا الثاني الذي تفسيره الله معنا في العبرانية.
- ١٤ - إسرائيل ومعناه قوي مع الله في العبرانية.
- ١٥ - زكريا الذي معناه الرب يذكر في العبرانية.
- ١٦ - متى وهي كلمة عبرانية مختصرة من ماثيا ومعناه هبة الله.
- ١٧ - إيل - إله إسرائيل سمى به يعقوب المذبح الذي بناه.
- ١٨ - يهوه ليس أي الرب علمي أو رايتي، سمى به موسى المذبح الذي بناه.
- ١٩ - حزقياه وهو اسم للملك يهوذا ومعناه شده الله.
- ٢٠ - يفتحيل ومعناه يفتح الرب.
- ٢١ - حزقيال وهو اسم للنبي المذكور، وأصله: يحزقيئيل، ومعناه: يشده الرب.

* * *

فصل آخر:

يقول النصارى إن إتيان المسيح باسم الرب أو اسم أبيه دليل لهم على ربوبيته.

(أ) فيقول في إنجيل يوحنا ص ٥ عدد ٤٣، ٤٤:

(أنا قد أتيت باسم أبي ولستم تقبلونني!! أن أتى آخر باسم نفسه تقبلونه؟! كيف تقدرون أن تؤمنوا وأنتم تقبلون مجدداً بعضكم من بعض والمجد الذي من الإله الواحد لستم تطلبونه؟).

(ب) كما ورد في إنجيل متى ص ٢١ عدد ٩ - ١١:

(والجموع الذين تقدموا والذين تبعوا كانوا يصرخون قائلين: أوصنا لابن داوود

مبارك الآتي باسم الرب، أَوْصَنَّا في الأعالي. ولما دخل أورشليم، ارتجت المدينة كلها قائلة: من هذا؟ فقالت الجموع: هذا يسوع النبي الذي من ناصرة الجليل^(١).

(ج) ورد بإنجيل لوقا ص ١٩ عدد ٣٧، ٣٨:

(ولما قرب عند منحدر جبل الزيتون ابتدأ كل جمهور التلاميذ يفرحون ويسبحون الله بصوت عظيم لأجل جميع القوات التي نظروا قائلين مبارك الملك الآتي باسم الرب).

والجواب على ذلك:

(أ) أن إتيان المسيح باسم الرب هو إتيانه بمجد الله وسلطانه بدليل العجائب التي أجريت بيده، والتي لا تكون إلاً من الله وبمعونته، وهذا ما قاله مفسّرو النصرانية ولا أكثر من ذلك، فلا دعوى للألوهية يدل عليها — وبالمقابلة يقول عن المسحاء الكذبة: أن أتى آخر باسم نفسه فذلك تقبلونه دون أن يكونوا مؤيدين بمجد وسلطان.

(ب) وفي إنجيل متى فإن معنى إتيان المسيح باسم الرب هو: إتيانه بسلطان الرب ومجده، وهناك قرينة تشير إلى ذلك واضحة بجلاء عندما أجلبت الجموع بأن هذا يسوع النبي فقد قررت أنه نبي فقط، وهي نفس تلك الجموع التي صرخت قبل ذلك بقولها مبارك الآتي باسم الرب، فكيف يستساغ بعد ذلك وبعد أن فهم من هذا القول الصريح بأنه نبي أن تكون هناك إشارة خفية لربوبيته.

(انظر إنجيل متى ص ٢١ عدد ٩ — ١١).

(ج) ومع هذا فما المانع من تفسير كلمة (الرب) هنا بالمعلّم حسبما فسره يوحنا في إنجيله ص ١ عدد ٣٨:

(فالتفت يسوع ونظرهما يتبعان فقال لهما ماذا تطلبان فقالا: ربي — الذي تفسيره يا معلّم — أين تمكث؟).

وحسبما ذكره المسيح نفسه فيما هو منسوب إليه بإنجيل متى ص ٢٣ عدد ٨ بقوله:

(١) كلمة أَوْصَنَّا هي كلمة سريانية معناها خلصنا أو أنقذنا، وقد كانوا يقولونها في حالة السرور ابتهاجاً بدخول المسيح عليه السلام مدينة أورشليم.

(لأن معلمكم واحد المسيح)، هذا وقد وصف المسيح في العهد الجديد (الأنجيل) بكونه معلماً أكثر من خمسين مرة.

(د) وفضلاً عما تقدم ذكره جميعه فكما ورد عن المسيح أنه أتى باسم الرب، فقد ورد إتيان أشخاص آخرين باسم الرب وإتيان أفعال كثيرة باسم الرب أيضاً كالمسيح تماماً طبقاً للآتي:

١ - ورد في مزمور ١١٨ عدد ١٠ عن داود عليه السلام إذ قال:
(باسم الرب أبيدهم).

٢ - ورد في مزمور ٧١ عدد ١٦ عنه أيضاً إذ قال:
(آتي بجبروت السيد الرب).

٣ - ورد في سفر صموئيل الأول ص ١٧ عدد ٤٥ عن داود، وهو يخاطب جليات البطل الفلسطيني الذي حاربه:
(وأنا آتي إليك باسم رب الجنوب).

٤ - ورد في مزمور ٤٤ عدد ٥ عن بني قورح أيضاً خطاباً لله سبحانه:
(بك ننطح مضايقيناً يقيناً، باسمك ندوس القائمين علينا).

٥ - ورد في إنجيل مرقس ص ١١ عدد ١٠ قول تلاميذ المسيح:
(مباركة مملكة أبينا داود الآتية باسم الرب).

النتيجة:

لو كانت عبارة إتيان المسيح باسم الرب تقتضي ربوبيته ولاهوته، لكان كل من داود وبني قورح والمملكة أرباباً وآلهة وهذا محال.

وأيضاً إليك الآتي تأييداً لما تقدم:

٦ - ورد بسفر التثنية ص ٣٢ عدد ٣ عن موسى عليه السلام قوله:
(آتي باسم الرب أنادي).

٧ - كما ورد بسفر الملوك الأول ص ١٨ عدد ٣٢، عن إيليا أنه:
(بني الحجارة مذبحاً باسم الرب).

٨ — كما ورد بسفر الأيام الأول ص ٢١ عدد ١٩ أن جاداً النبي تكلم:
(تكلم مع داوود باسم الرب).

٩ — كما ورد بسفر أرميا ص ١٥ عدد ١٦ أن أرميا قال:
(لأنني دعيت باسمك يا رب إله الجنود).

١٠ — كما ورد بسفر أرميا ص ٢٦ عدد ٢٠ أنه:
(قد كان رجل أيضاً يتبأ باسم الرب أوريا بن شمعي من قرية بعاريم).

١١ — ورد في سفر أرميا ص ٢٦ عدد ١٦ في شأن أرميا:
(فقلت الرؤساء وكل الشعب للكهنة والأنبياء ليس على الرجل حق الموت، لأنه
كلمنا باسم الرب إلهنا).

١٢ — ورد بسفر عزرا ص ٥ عدد ١:
(فتنبأ النبيان حجي النبي وزكريا بن عِدو لليهود الذين في يهوذا، وأورشليم باسم
إله إسرائيل عليهم).

١٣ — ورد بسفر التكوين ص ١٣ عدد ٨ عن إبراهيم عليه السلام أنه:
(بنى هناك مذبحاً للرب ودعا باسم الرب).

١٤ — ورد بسفر التثنية ص ٢١ عدد ٥:
(ثم يتقدم الكهنة بنو لاوي لأنه إياهم اختار الرب إلهك ليعلموه ويباركوا باسم
الرب).

١٥ — ورد بسفر الأيام الأول ص ١٦ عدد ٢ عند داود عليه السلام:
(بارك الشعب باسم الرب).

١٦ — وورد عنه في مزمور ١٢٩ عدد ٨ قوله:
(باركناكم باسم الرب).

١٧ — وورد برسالة يعقوب ص ٥ عدد ١٠ قوله:

(خذوا يا إخواني مثلاً لاحتمال المشقات والأناء والأنبياء الذين تكلموا باسم الرب).

وخلاصة ما تقدّم أيضاً:

فعلى هذا لو كانت نسبة الإتيان للمسيح باسم الرب تقتضي ربوبيته ولاهوته لكان كل من موسى وإيليا وجاد وأوريا وحجي وزكريا بن عدو وإبراهيم والكهنة من بني لاوي، وداوود والأنبياء أرباباً وآلهة، إذ قد نسب لكل منهم فعل من الأفعال فعلة باسم الرب، كما نسب الإتيان للمسيح باسم الرب، إذ الإتيان أيضاً هو فعل من الأفعال مما يقتضي أن يكون مراد المسيح من عبارة إتيانه باسم الرب أن إتيانه ليس باسمه، أي ليس بمجده وسلطانه بل باسم الرب، أي بمجد الرب وسلطانه حيث أيده بالقوات أي بالقوة وبالعجائب التي لا تكون إلاً من الله سبحانه وتعالى.

وبناء عليه يكون:

١ - إن المسيح إذا تكلم لا يتكلم إلاً باسم الرب أي بكلام الله سبحانه وتعالى.

٢ - والأفعال التي قام بها ليس هو فاعلاً لها باسمه بل باسم الرب الإله سبحانه، كما قال في إنجيل يوحنا ص ١٠ عدد ٢٥:

(الأعمال التي أنا أعملها باسم أبي هي تشهد لي)، ومن هذا النص تُستخلص حقيقتان هما:

الحقيقة الأولى: أن جميع الأعمال العجيبة التي يعملها المسيح ليست على حسابه وليست باسمه بل على حساب الله وباسم الله أي بقوة الله ومجده.

والحقيقة الثانية: أن هذه الأعمال العجيبة هي ليست شهادة للمسيح على ربوبيته بل شهادة على كونه المسيح، وتستخلص هذه الحقيقة الثانية من سؤال اليهود له في ذلك قبل إجابته لهم وذلك في إنجيل يوحنا في ص ١٠ عدد ٢٤:

(إن كنت أنت المسيح فقل لنا جهرًا).

ومن هاتين الحقيقتين يندك الاعتقاد بلاهوت المسيح من أساسه.

فصل أخير:

وهناك نصوص أخرى في معنى الإتيان والتكلم والمناداة باسم الرب طبقاً للآتي:

١ - ورد بسفر التثنية ص ١٨ عدد ٢٢ قول الرب خطاباً لموسى:

(أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك، واجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطلبه، وأما النبي الذي يطفئ فيتكلم باسمي كلاماً لم أوصه أن يتكلم به، أو الذي يتكلم باسم آلهة أخرى فيموت ذلك النبي، وإن قلت في قلبك: كيف تعرف الكلام الذي تكلم به الرب؟ فما تكلم به النبي باسم الرب، ولم يحدث ولم يصر فهو الكلام الذي لم يتكلم به الرب بل بطغيان تكلم به النبي فلا تخف منه).

٢ - ورد في سفر الملوك الأول ص ٢٢ عدد ١٦، ١٧ في وصف ميخا النبي:

(فقال له الملك كم مرة استحلفتك أن لا تقول لي إلا الحق باسم الرب فقال: رأيت كل إسرائيل مشتتين).

٣ - ورد في سفر أرميا ص ٢٦ عدد ٨، ٩ في حق أرميا:

(وكان لما فرغ أرميا من التكلم بكل ما أوصاه الرب أن يكلم الشعب به أن الكهنة والأنبياء وكل الشعب أمسكوه قائلين: تموت موتاً لماذا تنبأت باسم الرب قائلاً مثل شيلوه^(١) يكون هذا البيت وهذه المدينة تكون خربة بلا ساكن).

٤ - ورد بسفر أرميا ص ٤٤ عدد ١١:

(قال رب الجنود إله إسرائيل ها أنذا أجعل وجهي عليكم للشر).

ثم قول الإسرائيليين له في ص ٤٤ عدد ١٦:

(إننا لا نسمع لك الكلمة التي كلمتنا بها باسم الرب).

٥ - ورد بسفر زكريا ص ١٣ عدد ٣:

(ويكون إذا تنبأ أحد بعد، أن أباه وأمه والديه يقولان له: لا نعيش لأنك تكلمت

بالكذب باسم الرب).

(١) وشيلوه: مدينة على بعد ١٧ ميلاً شمالاً من أورشليم بين بيتين ونابلس، وتسمى الآن سيلون، كانت مقراً لتابوت العهد والخيمة عند اليهود.

٦ — ورد بسفر أرميا ص ٢٩ عدد ٩ :

(لأنهن إنما ينتبأون لكم باسمي بالكذب أنا لم أرسلهم يقول الرب).

والنتيجة مما سبق جميعه :

من كل ما تقدم يتبين أن كتبة العهدين العتيق والجديد، اصطالحوا على تسمية كل عمل، وكل قول صدر من الأنبياء والمرسلين من الله، لأن قد عمل باسم الرب، وقد قيل باسم الرب الأمر الذي يفسر ويوضح لكل عاقل المعنى للفظ (إتيان المسيح باسم الرب)، ويوضح بجلاء أنه لا يشير لطبيعة لاهوتية إطلاقاً.

ونظيره الآن: ما إذا قال بعض الوزراء أو السفراء أو المندوبين من حكام الدول المختلفة: إني أتكلم باسم الدستور أو باسم القانون أو باسم الملك أو باسم رئيس الدولة أو باسم الشعب، أي أن ما يتكلمه ليس من عنديات قائله بل هو لحساب الدستور أو القانون أو الملك أو رئيس الدولة أو الشعب.

• • •

الباب الرابع
في
تسمية المسيح (كلمة)

يقرّر النصارى في دعواهم أن المسيح سُمّي (كلمة الله) أو (كلمة من الله) ويستدلون من ذلك على أنه الأقنوم الثاني من الثالوث طبقاً للآتي:

١ - فقد ورد في سفر رؤيا يوحنا ص ١٩ عدد ١٣ عن المسيح:
(ويدعى اسمه كلمة الله).

٢ - ورد في رسالة بولس إلى العبرانيين ص ٤ عدد ١٢:
(لأن كلمة الله حية وفعالة وأمضى من كل سيف ذي حدين).

٣ - ورد في سورة آل عمران في القرآن الكريم عن زكريا عليه السلام:
﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾.
وهذه الكلمة هي المسيح في تفسير النصرانية.

٤ - ورد في القرآن الكريم في سورة آل عمران أيضاً:
﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾.

الرد:

ويرد على الدعوى النصرانية بأن تسمية المسيح بكلمة الله لا يعني إطلاقاً أنه الأقنوم الثاني من الثالوث الذي تعبده النصرانية لأنه:

* أولاً - إنما سمي بذلك على معنى أنه الكلمة السابق بها الوعد والبشارة من الله
لأنبياء الناموس طبقاً للآتي:

١ - إن تسمية المسيح المنتظر (بالكلمة) عادة معروفة عند اليهود ولا سيما من كان منهم مشتتاً بين الأمم الذين عرفوا الفلسفة اليونانية، كما قال بذلك المفسر (وليم أدي) الأمريكي في شرحه (لبشارة) أي (إنجيل) يوحنا في كتابه: شرح الإنجيل.

٢ - تطلق الكلمة ويراد بها المعنى، فقد ورد في رسالة بطرس الثانية ص ١ عدد ١٩ :

(وعندنا الكلمة النبوية وهي أثبت التي تفعلون حسناً إن انتبهتم إليها).
فأشار بالكلمة النبوية إلى شهادة كل الأنبياء بذلك.

٣ - ورد في سفر أرميا ص ٣٣ عدد ١٤ - ١٦ :
(ها أيام تأتي يقول الرب وأقيم الكلمة الصالحة التي تكلمت بها إلى بيت إسرائيل وإلى بيت يهوذا. في تلك الأيام وفي ذلك الزمان أنبت لداود غصن البر فيجري عدلاً وبراً في الأرض. في تلك الأيام يخلص يهوذا أو تسكن أورشليم آمنة، وهذا ما تسمى به الرب برّنا).

فهنا المراد بالكلمة الصالحة كلمة الوعد والبشرى بالمسيح المنتظر.

٤ - ورد في مزمور ٦٨ عدد ١١ :

(الرب يعطي كلمة المبشرات بها جد كثير).

٥ - ورد في سفر أشعيا ص ٢ عدد ٣ ، ٤ :

(لأنه من صهيون تخرج الشريعة ومن أورشليم كلمة الرب فيقضي بين الأمم وينصف لشعوب كثيرين).

فهنا الكلمة معناها الوعد والبشرى، ويؤكد ذلك ما يلي:

٦ - ما ورد في مزمور ١٠٥ عدد ٤٣ عن الله :

(لأنه ذكر كلمة قدسه مع إبراهيم عبده فأخرج شعبه بابتهاج ومختاريه بترنم).

٧ - ورد في سفر الأيام الأولى ص ١٦ عدد ١٥ ، ١٦ :

(اذكروا إلى الأبد عهده الكلمة التي أوصي بها إلى ألف جيل الذي قطعه مع إبراهيم).

٨ - وقول القرآن الكريم ﴿بكلمة من الله﴾ و ﴿كلمة منه﴾ و ﴿كلمته﴾، يريد بها كلمة الوعد، أي كلمة البشرى السابقة منه المعهودة عند اليهود والنصارى، والمكتوبة في الأسفار، والموصوفة بأنها الكلمة الصالحة. وقد جرى القرآن على ذلك الاصطلاح، لأن اليهود اصطلمحوها على تسمية المسيح المنتظر كلمة، وشاع هذا الاصطلاح بين النصارى والعرب وقت نزول الوحي.

* ثانياً - وكما قدّمنا بأنه أطلقت الكلمة الصالحة بمعنى كلمة الوعد:

كذلك يطلق الكلام الصالح على كلمة الوعد طبقاً للآتي:

١ - ورد في سفر أرميا ص ٢٩ عدد ١٠:

(لأنه هكذا قال الرب: إني عند تمام سبعين سنة لبابل، أتعهدكم، وأقيم بكم كلامي الصالح يزوركم إلى هذا الموضع) فكلامه الصالح هو وعده برجوع بني إسرائيل من السبي البابلي المذكور في:

(أ) سفر أشعيا ص ٤٠ عدد ١ - ٣١.

سفر أشعيا ص ٤٤ عدد ٢٦.

سفر أشعيا ص ٤٥ عدد ١ - ٢٥.

سفر أشعيا ص ٦١ عدد ١ - ١١.

(ب) وفي سفر أرميا ص ٣٠ عدد ١ - ٢٤.

وفي سفر أرميا ص ٣١ عدد ١ - ١٤.

٢ - ورد في إنجيل متى ص ٢٤ عدد ٣٤ - ٣٥ قول المسيح؛

وإنجيل مرقس ص ١٣ عدد ٣٠، ٣١ قول المسيح:

(الحق أقول لكم: لا يمضي هذا الجيل حتى يكون هذا كله، السماء والأرض تزولان ولكن كلامي لا يزول).

فليس مراده بالكلام كلام الشريعة، ولكن كلام الوعد الذي يجب أن يصدق وأن يقع تماماً.

٣ - ورد في إنجيل يوحنا ص ٢ عدد ٢٢ قول يوحنا عن المسيح:

(فلما قام من الأموات تذكر تلاميذه أنه قال هذا فأمنوا بالكتاب والكلام الذي قاله يسوع) أي الوعد الذي قاله يسوع.

* ثالثاً — والكلمة قد تطلق على الإنذار طبقاً للآتي:

١ — جاء في سفر حزقيال ص ١٢ عدد ٢٨:

(لذلك قل لهم هكذا قال السيد الرب لا يطول بعدُ شيء من كلامي الكلمة التي تكلمت بها يقول السيد الرب).

٢ — وكذلك ما ورد في القرآن الكريم من قوله تعالى:

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾^(١).

* رابعاً — لم يرد في الأسفار عموماً ما يصرح أو يرمز إلى أن (الكلمة) تطلق على الألقوم الثاني أو المسيح كما أن لفظة (ألقوم) لا توجد في سفر من الأسفار العتيقة، ولا الجديدة مما يقتضي الحال أنه لا يجوز أن يقال إن المراد (بالكلمة) الألقوم الثاني من الثالث الذي تقول به النصرانية واستكمالاً للبحث نورد في الفصول الثلاثة الآتية:

الفصل الأول

إنه — رغم ما تقدّم — فإن النصرانية تدّعي أن إضافة الكلمة لله في الكتاب المقدس، وفي القرآن الكريم دليل على أنها أي الكلمة الألقوم الثاني المتصل بالألقوم الأول، والمتحد معه ويستدلون على ذلك بالآتي:

١ — ما ورد في رؤيا يوحنا ص ١٩ عدد ١٣ عن المسيح:

(وهو متسرّبل بثوب مغموس بدم يدعى اسمه كلمة الله).

٢ — ما ورد في رسالة بطرس إلى العبرانيين ص ٤ عدد ١٢:

(لأن كلمة الله حية وفعالة وأمضى من كل سيف ذي حدين).

٣ — ما ورد في القرآن الكريم قوله تعالى:

(١) سورة هود: الآية ١١٩.

- (أ) ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾^(١).
- (ب) ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾^(٢).
- (ج) ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾^(٣).

الرد:

ويُردّ على ذلك بأن إضافة الكلمة لله هي للاحتراز عن الكلمة التي للشيطان (وهي الكلمة الأرضية التي لا تصدق) طبقاً للأمثلة الآتية:

١ - ورد بسفر الأمثال ص ١٤ عدد ١٥:

(الغبي يصدق كل كلمة).

٢ - ورد بسفر الأمثال ص ٣٠ عدد ٥:

(كل كلمة من الله نقية).

مما تقدم يتضح أن كلمة الله نقية وكلمة الشيطان رديئة ولذلك لزم إضافة الكلمة المعبر بها عن المسيح بالوعد والبشرى به لله تعالى.

الفصل الثاني

ومع ذلك فإن النصارى يأخذون من تعبير القرآن الكريم بأن إلقاء الكلمة إلى السيدة مريم يرمي إلى أن هذه الكلمة جوهر مستقل وليس معناها الوعد كما سبق شرحه.

الرد:

لكن يرد على ذلك بأن الأسفار عبرت عن الكلمة بأنها ترسل، وتعطي، وتعمل، فكذاك يجوز أن يعبر عنها بأنها تُلقى.

(١) سورة آل عمران: الآية ٣٩.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٤٥.

(٣) سورة النساء: الآية ١٧١.